المنظور النفسي في الإسلام

الباحث
م. م. علي داود سليمان

Psychological Perspective In Islam

By
Associate Lecturer. Ali Dawood Suleiman

الملخص

انشغل الإنسان منذ القدم بمحاولات فهم ذاته ومعرفة صفات وسمات شخصيته، وقد تباينت آراء علماء النفس والباحثون حول فهم الشخصية وتصنيف أنماطها تبعا لاختلاف وجهات نظرهم نحوها، وجاء ذكر الأنماط الشخصية في مواقع كثيرة من القرآن الكريم.

ويحاول هذا البحث فهم هذه الأنماط كما صورها القرآن الكريم فهو دستور الأمّة الإسلامية الجامع لحياة الإنسان في (الدنيا والآخرة)، وهو المرتكز الأول لفهم القضايا العامة والمبادئ الأساسية للمسلم.

Summary

From long time ago، Human attempts to understand the nature of his personality. There are different points of view of the classification of this different personality. In Quran، the variant classification has been described. This research focus on how to understand these variations as it considered the constitution of the Islamic World as it is the primary basis for dealing with the general issues and the basic principles of the Muslim.

❊ ❊ ❊

المقدمة

- **المبحث الاول:**
- **أولاً: الشخصية**

الشخصية مصطلح عام وشامل وهو البناء الخاص بصفات الفرد وأنماط سلوكه وطريقته المتفردة في التكيف مع البيئة المحيطة به وأسلوبه الخاص في التعامل مع نفسه ومع الآخرين، لذا يفترض ان يتضمن أي وصف لشخصية الفرد وصف لمظهرة العام، وطبيعته وقدراته، ودوافعه وردود أفعاله العاطفية وطبيعة الخبرات التي مر بها، ومجموعة الاتجاهات والميول والقيم التي توجه سلوكه (محمود،٢٠٠١: ١١٢).

والشخصية موضوع يدخل في كل موضوع، وفي كل علوم الإنسان هذه العلوم هي علومها، هي خلقتها، لأنها تحوي في داخلها الخصائص الجسمية والنفسية وما يتبع ذلك، أو أنها تنظيم التكوينات الجسمية والنفسية في تفاعلها وفي أساليبها للتكيف مع البيئة (زيعور، ١٩٨٦: ٢٦).

إن فهم سلوك الفرد لآياتي عشوائيا وإنما يتطلب فهم الشخصية الإنسانية ومعرفة أنماطها المختلفة فعندما يكون الفهم دقيقا صحيحا وموضوعيا يستطيع الإنسان إن يتفهم سلوك الفرد ويوجهه توجيها سليماً فإن النظريات التي بحثت في شخصية الفرد وتطويره هي التي تحظى بتحسين العمل وجودة الإنتاج بوقت وجهد اقل (القيروتي، ٢٠٠٩: ٨٣).

علماء النفس لم يهتموا فقط بدراسة الشخصية بل اهتموا بوضع النظريات التي تفسر السلوك الإنساني في أطار نظري منظم نتج عنها نظريات تمثل وجهات نظر مختلفة لكل منها مزاياها وعيوبها (لازاروس، ١٩٨٩: ١٥).

ويرى الباحث أن علماء النفس والباحثون تباينوا في تعاريفهم حول الشخصية تبعا لاختلاف وجهات نظرهم نحوها، وتباين نظرتهم حولها، وان مظاهر الشخصية هي التي تحدد نوع السلوك الذي يسلكه الفرد في المواقف المختلفة. والشخصية لم تكن على نمط واحد ولا تتصف بصفات ثابتة، فالشخصية ذات الرأي الثابت والهدف الواضح والتي لا تتغير حسب المواقف التي تتعرض

لها يكون تأثيرها كبير على الآخرين، والشخصية المتقلبة المزاج وغير المستقرة والتي لا راي ثابت لها يكون تأثيرها في الآخرين قليل، فمعرفة وفهم الأفراد لسلوك بعضهم لبعض هو ضروري جدا لديمومة الحياة واستمرارها مصداقا لقوله علية الصلاة والسلام (المؤمن مرآة أخيه).

فقد عرفها البورت (١٩٣٧) Allport (الشخصية هي التنظيم الديناميي داخل الفرد،لتلك الأجهزة النفسية والجسمية التي تحدد طابعه الخاص في توافقه مع البيئة (.p.399 Davids&Engen .1975).

ويؤكد مصطفى فهمي (١٩٩٧) إن الشخصية هي التنظيم المتكامل من الصفات والمثيرات والتركيبات الجسمية والعقلية، الانفعالية والاجتماعية التي تبدو في العلاقات الاجتماعية للفرد والتي تميزه عن غيره تميزا واضحا(فهمي، ١٩٩٧ : ٥٦).

يقول برنس (pernis) إن الشخصية هي المجموع الكلي لاستعدادات الفرد العضوية الداخلة وميوله ونزعاته وشهواته وغرائزه إضافة إلى استعدادات وميول مكتسبة (خوري، ٢٠١٠: ١٩٣٢).

ويرى صالح (١٩٨٨) إن (العادة السلوكية) هي اصغر وحدة لبناء الشخصية ليبنوا من خلالها مفاهيم العلاقة بين الشخصية والسلوك، ثم ركزوا على وحدة بناء اكبر وهي (السمة) وبها يمكن تميز شخصا دون أخر، وإمكانية التنبؤ بها سيكون علية الإنسان إزاء ما يواجه في مواقف الحياة المختلفة وصولا إلى اكبر وحدة بناء التي هي (نمط الشخصية) (صالح،١٢: ١٩٨٨).

وأكد جوميال (Jomeyal ،2003) ان قياس الظاهرة السلوكية وإمكانية التنبؤ بالسلوك ووصفه والتحكم فيه، يتطلب وضع نموذج وصفي او تصنيف للأبعاد والسمات الأساسية للشخصية الانسانية، ويتم ذلك عن طريق دمج الصفات المرتبطة والمتشابهة معا، وتصنيفها تحت نمط (Type) او بعد أو عامل مستقل يمكن تعميمه عبر مختلف الأفراد والثقافات (الفهداوي، ٢٠١٦: ٤٨).

- **ثانياً: مفهوم نمط الشخصية**

الإنسان منذ القدم انشغل بمحاولات فهم ذاته ومعرفة صفات وسمات ونمط الشخصية،

كما اهتم الناس أيضا بمعرفة طبيعة أنماط الشخصيات التي يتعاملون معها، ومحاولة معرفة كيف يتصرف الافراد في المواقف المختلفة التي يتعرضون لها. وبين ايزنك (Esyenk ،1985) النمط هو مجموعه من السمات المترابطة معا، أو الميل الى افعال معينه، والنمط مفهوم اعم من السمه (Esyenk ،1985 ،p.12).

النمط (Type) فئه او صنف من الافراد يشتركون في نفس الصفات العامة وان اختلف بعضهم في درجة اتسامهم بهذه الصفات او مجموعة من السمات المترابطة (راجح، ١٩٨٥: ٤٦٧).

ويقول (Allport) ان النمط يشير الى الطريقة في تصنيف الشخصية الكلية اكثر من كونه يشير الى الوحدات الاصغر بداخلها، وان الانماط موجوده في عين الملاحظ او الباحث، والسمات على النقيض موجوده فعلا داخل الافراد (الفهداوي، ٢٠١٦: ٤٩).

ان مفهوم النمط (Typle) هو مجموعه من السمات او مستوى اعلى تنتظم فيه السمات (الفهداوي، ٢٠١٦: ٤٩) وجد الباحث من خلال الاطلاع على الادبيات النفسية في ما يتعلق بالأنماط هناك اتفاق بين اغلب علماء النفس بان النمط مجموعه من السمات التي يتصف بها شخص ما ويشترك بها مع مجموعه من الافراد الذين ينتمون لنفس النمط.

- **ثالثاً: الشخصية وأنماطها في المنظور الإسلامي**

الشخصية في الإسلام لها جانبين: الجانب الأول المادي والمتمثل بالحاجات المادية او الحسية للإنسان والجانب الثاني الروحي (المعنوي) ويشمل على ما يتخلق به المسلم من اخلاق وما يتعامل به من مثل حية وقيم نابضة، وما له من عقل واع، وقلب طيب كبير وعاطفة رحيمة (البوقلي،١٩٩٠: ١٢٢).

الاسلام عالج الانسان معالجه كامله لا يجاد شخصية معينة تميزها عن غيرها .استخدم العقيدة لبناء قاعده فكريه ينتج من خلالها الفرد افكاره، ويكون في ضوئها مفاهيمه .فيمكن تمييز الفكر الصائب من الخاطئ وفي الوقت نفسه عالج الاسلام سلوك الانسان الصادر عن حاجاته العضوية وغرائزه بالأحكام الشرعية المنبثقة من العقيدة نفسها معالجه صادقة، تنظم الغرائز ولا تكبتها، وتنسقها ولا تطلقها، وتوفر له اشباع جميع شهواته اشباعا متناسقا يؤدي الى الطمأنينة

والاستقرار. وان الاسلام يكون الشخصية الاسلامية بالعقيدة الاسلامية، فيها تتكون عقليته وبها تتكون نفسيته .اي تجعل الاسلام وحدة المقياس العام للأفكار عن الحياة، وأما النفسية الاسلامية فهي تجعل ميولها كلها على اساس الاسلام اي تجعل الاسلام وحدة المقياس العام للاشباعات جميعها (النبهاني، ٢٠٠٣: ١٦).

أن الإسلام ليس نظرية، لأن النظرية قابلة للاختبار، وبذلك تحتمل الصواب، والخطأ، وتتبدل وتتغير عبر الزمان، والمكان، أو قد تكون مفيدة لفئة، أو جانب من جوانب السلوك؛ لكنها غير ذي جدوى لفئة أخرى، أو جانب سلوكي آخر. في حين أن الإسلام متمثلاً بالقرآن الكريم، وسنة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، هو (دين الله للإنسانية) ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]، وبذلك فهو الحقيقة المطلقة الوحيدة المجودة في هذا الكون، إلى أن يرث الله السماوات، والأرض، وما فيهما، وعليهما. لذلك من الخطأ الفادح حشر الإسلام بمتاهات ضيقة، وعده في عداد النظريات التي وضعها عباد الله مهما كانت صفتهم وعلميتهم؛ لأن ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[2] ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[3]، لكن عندما نقول المنظور النفسي في الإسلام، فهو طريقة للبحث، والتنقيب في هذا السفر الخالد (القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة)، وإيجاد طرائق ووسائل الانتفاع من هذا السفر الخالد.

وعلى هذا فإن طريقة البحث، والتنقيب هذه هي القابلة للخطأ، والصواب، ووفقاً لهذا الفهم يمكن تعريف المنظور النفسي في الإسلام: في كونه حلول مقترحة لمدى الانتفاع من نعمة الله الكبرى على الإنسانية متمثلة (بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) في البناء المتكامل، والمتوازن للإنسان ليبتغي فيما أتاه الله الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا.

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) يوسف: ٧٦.

(٣) الإسراء: ٨٥.

- **رابعاً: مصادر المنظور النفسي في الإسلام.**

١. القران الكريم:

هو دستور جامع لحياة الإنسان في (الدنيا والآخرة)، وهو يحوي القضايا العامة والمبادئ الأساسية لتفسير الظواهر الكونية. (عيسوي، ١٩٧٩: ٢٩)، والقرآن الكريم: كتاب عقيدة، وإرشاد، ومنهاج حياة، وهو المعجزة الكبرى الدائمة، والمتجدّدة لرسولنا الأمين محمد ﷺ، وهو الذي قال بحقه عزوجل ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[١] ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾[٢]، وقال ﷺ في وصفه (وهو الذي لا تنقضي عجائبه) وقال عنه ابن عباس رضي الله عنه (القرآن يفسر الزمان). (الحبّال، ٢٠٠١: ٢٨). في حديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إن القرآن مأدبة الله فأقبلوا على مأدبته ما استطعتم . إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، والنجاة لمن أتبعه، ولا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد، أتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوة كل حرف عشر حسنات)). (صالح، والطارق، ١٩٩٤: ٢٥٧) وعن الحارث قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على عليّ رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث، قال: أوقد فعلوها؟ قلت نعم. قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إلا أنها ستكون فتنة. فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: -كتاب الله- فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قال ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾[٣]، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)). (الطيبي، ١٩٩٤: ٢٧).

---

(١) التكوير: ٢٧.

(٢) ص: ٨٨.

(٣) الجن: ١-٢.

لقد بني القرآن الكريم، فكراً وبشراً (قادة العالم) طيلة قرون، ما يزالان يؤثران، ولا عجب فهو المصدر الأصلي للحضارة الإسلامية ونمطها، ونظامها وللتربية فيها. وهو يحوي المبادئ العامة، والمسلمات الأساسية لأي نظام ينطبق عليه لفظ (إسلامي). (أبو العينين، ١٩٨٦: ٣٢).

٢. السنه النبوية:

هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو قرار، وفيها بيان لما في القرآن من مجمل، وأحكام لما ليس فيه نص من الكتاب. وتظهر، وظيفة السنة بالآتي:

١. إلحاق أمر لم يرد فيه نص من الكتاب بأمر ورد فيه نص لاشتراكهما في علة الحكم. مثل قوله ﷺ (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام)، حيث الحق جميع المسكرات بالخمر في التحريم لاشتراكه معها في علة التحريم وهي السكر.

٢. تفصيل ما أجمل في القرآن، وبيان أحكامه، وما يتعلق بالصلاة، فقد جاء الأمر في القرآن مجملاً، في مثل قوله تعالى: (وأقيموا الصلاة) ولم يبين لنا كيفيتها، ولا أحكامها. والسنة هي التي قامت بتفصيل هذا المجمل، وبيان أحكامه، وهكذا الأمر في كثير من أحكام القرآن الكريم.

٣. تشريع عدد من الأحكام، والآتيان بأمور ليست في كتاب الله (ولكنها يوحي من الله): ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾[1]، كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وأن لا ميراث لقاتل، وأن لا وصية للوارث، وغير ذلك (اليوزبكي، ١٩٨٣: ٤٣).

والسنة تجبر الفرض، وهي أمر ونهي، ونصح، وموعظة، وإرشاد، وتوجيه وحكم من سيد الخلق محمد ﷺ. وإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام، وهو الدستور الذي يحوي الأصول والقواعد الأساسية للإسلام (عقائد وعبادات، ومبادئ، وأخلاق، وآداب، ومعاملات). فإن السنة هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم، وهي البيان النظري، والتطبيق العملي للقرآن في ذلك كله، ولذلك وجب اتباعها، والعمل بما جاءت به من أحكام وتوجيهات، وطاعة الرسول فيها واجبة، والدليل على كل هذا، ورد في آيات كثيرة من القرآن الكريم. أما من السنة: فهناك أحاديث كثيرة نذكر منها وصيته ﷺ في حجة الوداع، كما رواها

(١) النجم: ٣-٥.

(ابن عباس) رضي الله عنه في حديث، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي (قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله، وسنة نبيه) (القرضاوي، ١٩٩٠: ٤١). وعلى هذه الأسس والأدلة يعتمد المنظور النفسي في الإسلام، القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة مصدراً أساساً له، لكون القرآن الكريم هو المرجع الأول في تحديد أصول الدين الإسلامي، وهو رسالة دينية تحتوي على فلسفة عامة لما يجب أن يكون عليه السلوك الإنساني عامة والإسلامي خاصة وكون السيرة النبوية المشرفة منهج نموذجي لترجمة القواعد، والمعايير القرآنية إلى أفعال بشرية يحتذي بها. (بيومي، ١٩٨١: ١٢).

- **المبحث الثاني:**
- **أولا: أسس المنظور النفسي في الإسلام:**

١. الإنسان الغاية، والوسيلة:

وميز (سبحانه وتعالى) الإنسان على سائر المخلوقات منذ كان نطفة حتى صَيّرهُ إنساناً ناطقاً دارياً مفكراً، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[1]، وكرم الله سبحانه وتعالى الإنسان في أن جعل طبيعة خلق أعضاءه في أحسن ما يكون، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2]، وجعله الله سبحانه وتعالى خليفته في الأرض، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3]، وسخر الله (سبحانه وتعالى) ما في الطبيعة من أجل الإنسان، ومكنه من الإفادة منها ووهبه القدرة على التحكم فيها والتمييز بين

(١) المؤمنون: ١٢-١٤.

(٢) السجدة: ٧-٩.

(٣) البقرة: ٣٠.

ما ينفعه ويضره، قال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]، وخلافة الله في الأرض هي أمانة قبلها الإنسان تكليفاً وتشريعاً، مع أنه أضعف من أن يحمل هذه (الأمانة الإلهية المشرفة) قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[2]، وكان واحداً من أبرز شروط هذه الأمانة وخلافة الله في الأرض هي عبادته عزوجل الواحد الأحد، والعبادة هنا كل ما يتعلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى والإقرار بوحدانيته، وطاعته، وتنفيذ أوامره وخلافته في الأرض وحمل أمانته بشرف والمحافظة على هذه الأمانة إلى يوم الحساب.

والشرط الأخر في خلافة الإنسان في الأرض هو أعمارها، وهذا يتطلب قدرة الإنسان على البقاء في الأرض، والعمل فيها، واستخلافها، وتوظيفها. (السامرائي، ١٩٨٥: ٢٨).

وليتمكن الإنسان من حمل الأمانة، وخلافة الأرض، فقد أرسل (سبحانه وتعالى) إليه رسلاً مبشرين، ومنذرين يحكمون بكتاب الله وبوحْيه. قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[3]، ومن رحمته (سبحانه وتعالى) على البشر أن جعل في كل أمة رسولاً بشيراً ونذيراً، قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

ولقد ساوى (جلت قدرته وحكمته) بين الناس في الخلقة والتكوين وساوى بينهم في الهداية، والإرشاد وأنزل رسالاته كل رسالة بلغة القوم الذي أرسلت إليهم، قال تعالى

(١) إبراهيم: ٣١-٣٤.
(٢) الأحزاب: ٧٢.
(٣) النساء: ١٦٥.
(٤) فاطر: ٢٤.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾[1] ، وجعل سبحانه وتعالى كل رسالة متساوية مع المرحلة الحضارية التي أنزلت فيها، إلا الرسالة الإسلامية المحمدية التي أراد (سبحانه وتعالى) منها وبها أن تكون الرسالة الجامعة الشاملة لكل البشرية، وأبدية لكل زمان ومكان، قال تعالى ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾[2]، وصاغ سبحانه وتعالى أسس ومبادئ رسالاته لتكون واضحة ومتوافقة مع إدراك الإنسان ومستوى معارفه، قال (سبحانه وتعالى) مخاطباً رسوله الكريم محمد ﷺ ﴿ * إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾[3]، (ولحسن تقويم الله (سبحانه وتعالى) للإنسان، وتشريفه، وتكليفه في خلافة الأرض فقد جعله الله سبحانه وتعالى الغاية، والوسيلة) وعليه كانت العلاقة سببية بين الإنسان، وخلافته في الأرض وبين هذه الخلافة وحمل الأمانة وأداء الرسالة، وأنَّ نواة هذه العلاقة هو الإنسان. وإن الله (سبحانه وتعالى) هو الخالق المدبّر المحرّك له حيث تصدر عنه الأفعال كافة، وتنتهي إليه النتائج كلها). (السامرائي، ١٩٨٥: ٢٩).

٢. (مكاملة التكامل) (توازن الأضداد والوسط العدل):

إن الله (سبحانه وتعالى)، وهب للإنسان الاستعدادات والمواهب التي تؤهله للقيام بوظيفته المتمثلة بخلافة الله في الأرض، واعمارها وعبادة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى ﴿ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾[4] وبذلك جعل (سبحانه وتعالى) الإنسان كلاً موحداً قائماً على التوازن، والتكامل في كل جوانبه قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَذَابِي كُلَّ شَيۡءٍ عَذَابِي خَلَقۡنَٰهُ

(١) إبراهيم: ٤.
(٢) آل عمران: ٨٥.
(٣) النساء: ١٦٣-١٦٤.
(٤) الأعراف: ١٢٩.

بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[1].

وبذلك فإن المنظور السايكولوجي للإنسان قائم على النظرة الكلية المتكاملة المتوازنة ليس في داخل الإنسان فحسب، وإنما بتوازن الإنسان مع الطبيعة والكون انتهاءً بالحقيقة الإلهية المتوازنة والمتكاملة في كل شيء، على خلاف النظرة أحادية القطب للإنسان والتي روّجت لها العديد من الفلسفات الغربية، فهناك من الفلسفات ما يؤكد المادية دون الروحية التي ترى أن الأصل الذي تكونت منه الأشياء مادي في حقيقته، وأن طبيعة الإنسان، مادية كذلك، ومن هذه الاتجاهات النظرية (المادية الجدلية والمادة الديالكينكية والمادية الطبيعية). (جعفر، ١٩٧٥: ١٥).

وقد فشلت هذه الاتجاهات النظرية في تحقيق سعادة الإنسان نتيجة لخواء الروح من الإيمان، والعقيدة، حيث تكالبت على الإنسان شهوات الأرض والماديات وكدّرت حياته، ولم تترك له فرصة للراحة، وتزايد الصراع في كل أشكاله في باطن النفس، ومع الأفراد والجماعات. وأصبح صراع النفوس، والأفراد، والجماعات والدول، والجيوش، والطائرات، والدمار الرهيب، والكوارث، يهدد وجه الأرض. (قطب، ١٩٨٢: ١٩).

وكذلك هناك أطر نظرية تؤكد الروحية دون المادية، حيث تؤكد هذه الأطر: (أن الروح تسود كل شيء، وتستغرق كل شيء، وهي كل شيء) وتقوم هذه الفلسفة على أسس عقلية وعلى الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) ومن دعاتها أفلاطون و (جورج باكلي)، ومن فلسفاتها (الروحية الشاملة والروحية الذاتية) وقد فشل هذا اتجاه أيضاً من تحقيق أهداف الإنسانية وسعادة الإنسان؛ لأنه يحرف الإنسان عن الصراط الذي رسمه الخالق له. (الكبيسي، ١٩٨٧: ١٧-١٨).

وهناك أطر نظرية ثنائية القطب تؤكد الاثنان (المادي، والروحي)، ولكن تولي أهمية أكبر للواحد على حساب الأخر (فالمثالية تولي اهتمام أكبر للجانب الروحي على حساب الجانب المادي، و(الواقعية) عكس المثالية و(التكاملية) تهتم بكلا الجانبين ولكن لم تصل إلى التوازن الذي يعبّر عنه مفهوم (مكاملة التكامل)، وهو فهم أكبر من التصور الإنساني هو إرادة الله سبحانه وتعالى، من خلال تعاليمه في الرسالات السماوية والرسالة الخاتمة في الإسلام التي تعبر عن أسرار الخلق. (الكبيسي، ١٩٨٧: ١٨-١٩).

(١) القمر: ٤٩.

ولقد حصدت البشرية الكثير من المآسي، حين انزلقت بها القدم باتجاه المادية المحضّة، أو الروحية الصرفة (أو الجمع بينهما الذي أنحصر على الحياة فقط هدفاً نهائياً) أو تفضيل أحدهما على الآخر. (الكبيسي، ١٩٨٧: ١٩).

لأن حياة الإنسان لم تكن مادية صرفة كحياة الحيوان، ولا روحية صرفة كحياة الملائكة بل كانت مزيجاً من المادة والروح ليتلائم وجوده من ناحيته المادية ومع طبيعة الأرض ومن ناحيته الروحية مع طبيعة السماء والنفحة العلوية). (أبو العينين، ١٩٨٦: ٤٧-٤٨).

ومن هنا لابد من إتباع المنهج الإسلامي الذي يوازن بين الإنسان والوجود بين (المادي والروحي) توازن بين (طاقة الجسم وطاقة الروح) بين (ماديات الإنسان ومعنوياته)، بين (ضروراته وأشواقه)، بين (حياته في الواقع وحياته في الخيال توازن بين (الإيمان بالواقع المحسوس، والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس) توازن بين (النزعة الفردية، والنزعة الجماعية) بين (النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية...) توازن في (كل شيء في النفس والوجود)، وقاعدة التوازن هو (الوسط العدل) قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1]، وسطاً في كل شيء. (الكبيسي، ١٩٨٧: ١٩).

وبذلك فإن المنهج الإسلامي في نظرته للإنسان هو القائم على مبدأ (مكاملة التكامل) الذي ينظر إلى الإنسان، والوجود بكلية متكاملة متناسقة متآزرة متوازنة. هذا المنهج الذي يعد للإنسان إنسانيته (فتوجد طرقاً لتنظيم واقعه المادي والروحي معاً)؛ لأنه يستحيل عليه أن يعيش في ملكوت السماء وقدماه تمشي على أديم الأرض، وأنه يخفق مراراً إذا انغمس في أوضار عالم الماديات، لأن بين جوانحه فراغ روحي ينشد الامتلاء. (الكبيسي، ١٩٨٧: ١٩).

وإن كل ما يصيب الإنسان من قلق او اضطراب، كل ما يصيبه من فساد وبوار، وشقاء هو نتيجة حتمية لفقدان التوازن في داخل النفس، ومن ثم في الحياة. (قطب، ١٩٨٥: ٢٠-٣٣).

من هذا يتضح إن الإنسان وحدة متناسقة كل جزء منها مسؤول عن أعماله، وبذلك فإن هذه النظرة تنفرد بالإتمام، والإكمال في تكوين الإنسان، وعرض صورته التي خلقها الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم. وهذا يعطينا تصوراً للإنسان كوحدة إيقاعية (تكاملية)، هذا التصور

(١) البقرة: ١٤٣.

الذي يربط بين الكليات الكونية، والإنسانية، وذراتها ثم الكتروناتها ثم إلى طاقتها الروحية، الذي لا يبقى بعده إلا المعاني في التصورات المجردة، أو المعادلات الرياضية. وتصبح المادة هنا ليست سوى مجموع علاقات، أو نسب تترجم للذهن حركات وطاقات كهربائية مغناطيسية تتعامل مع بعضها البعض.

إن تصورنا مجموعة خلايا الجسم، ومكوناتها مركبة من مواد كيميائية، وحركات فيزيائية أقصى حدودها في الصفر هي (الجزيئات والألكترومغناطيسية) ثم الحركة المحضة الخالصة يسهل علينا تصور التشابه بين وظائف الذهن والروح ووظائف المادة الجسمانية اللامتناهية في الصفر (الجزيئات الالكترومغناطيسية)، وتبادل التأثير بين الذهن، والروح والجسم (الفكر والمادة) بقصد المحافظة على التوازن (الجسماني – النفسي)، والانسجام داخل النفس في وظائفها من جهة (كل على حده) وبين (الجسم والنفس) وحدة الشخصية من جهة أخرى. (بن عبود، ٢٠٠٢: ١-٢).

وبين الشخصية وحدة واحدة وبين شخصيات الآخرين، والكون وما فيه من جهة أخرى أيضاً. قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[2]، وآيات أخرى كثيرة تؤكد أن الإنسان ليس فرداً فردية مطلقة ولا هو ذائب في جماعة بل هو جزء من كل أكبر مثلما هو يتألف من أجزاء أصغر فأصغر.. أيضاً.

فالإسلام لا يضخم الفرد ولا يضخم الجماعة إذ يعطي ذاتية الفرد حقها بحيث تصبح هذه الذاتية في النهائية جزء من كل فردٍ من مجموع ويعطي المجتمع كياناً، ووجوداً في ضمير الأفراد (وأصل الجماعة الصحيحة هي الذاتية الصحيحة، وأصل الاتصال بالآخرين هو الاتصال الصحيح بالذات، بل أن الفردية السوية أصل الجماعة السوية والعكس صحيح). (أبو العينين، ١٩٨٦: ٥٠-٥١).

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) النساء: ١.

وبناءً على ما تقدم لم يكن سلوك الإنسان مخير بالكامل، ولا هو حتمي ومجبر عليه بالكامل أيضاً، بل أن نوعية هذا السلوك وتحديد خيريته من حتميته وقدره، يتبع هذا المبدأ القائم على التوازن الكوني للإنسان، وعوامله، والإنسان والآخرين، والكون، ويتبع أيضاً تحقيق الغاية التي خلق الإنسان من أجلها وهي (خلافة الله في الأرض)، و(حمل الأمانة). قال تعالى ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾[1]. وقال تعالى ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ﴾[2].

وآيات أخرى كثيرة تدل على أن الابتلاءات، والأقدار هي إجبار ألهي، وهي حتميات يجب التسليم بها، والإيمان المطلق بها أيضاً، مع كل ذلك إلا إن الإنسان مطالب بسلوك خلقي (نابع من إرادته وواقع باختياره وفاعليته وبذلك عليه أن يختار بين الجزع، أو الصبر بين الخير والشر الذي كثيراً ما يجهل الإنسان هل أريد به خيراً أو شراً، والله سبحانه وتعالى لا يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير للإنسان، قال تعالى ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦ ﴾[3].

وبذلك فإن الإنسان نسبي في سلوكه الاختياري، أو الحتمي، وما الاختيارية إلا في خدمة حتمية السلوك الذي يأمرنا الله سبحانه وتعالى به متمثلاً بطاعة الله (سبحانه) وتنفيذ أوامره، وحمل أمانته، وخلافته في الأرض قال تعالى ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[4]، فالإنسان مخير بين من يريد تزكية النفس لتكون تقية وتعود إلى ربها راضية مرضية فتدخل في عبادته وتدخل في جنته، وبين من يريد دسَّ هذه النفس فتكون فاجرة فتتلقى عذاب الله ويتلقفها سعير ناره (سبحانه وتعالى).

---

(١) الإنسان: ١-٣.

(٢) الملك: ١-٢.

(٣) البقرة: ٢١٦.

(٤) الشمس: ٧-١٠.

إن هذا التوازن بين الإجبار، والاختيار ينتهي إلى سلوك قويم يرضي سبحانه وتعالى، ويسعد النفس المطمئنة، فلا قيود على قدرة الله (سبحانه) ولا إلغاء لوجود الإنسان إلا بإرادته (جلّ وعلا)، وقد عبّر (الغزالي) عن هذه العلاقة والتوازن بين (الخيرية والقدرية) بقوله: (فعل النار الإحراق مثلاً وهو جبر محض، وفعل الله اختيار محض، وفعل الإنسان على منزله بين هاتين المنزلتين، فإنه جبر على الاختيار). (أبو العينين، ١٩٨٦: ٤٩).

وكل هذه التوازنات بين (المادي والروحي) للإنسان وبينه وبين الآخرين وبينه وبين موجودات الكون وبين سلوكه في الإجبار والاختيار يتم ضمن أساس واحد هو (مكاملة التكامل) من أجل اختيار (الوسط العدل) الذي يؤدي إلى الاستقامة كونها تاج على رؤوس الأصحاء، ويذكر القرآن الكريم أن التوفيق، والسداد للعبد إنما يكمن في طلب الاستقامة من الله تعالى. قال تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾[1]، قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم ﷺ، ومن خلاله إلى كل عباده الصالحين ﴿ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ ﴾[2]

إنَّ استقامة النفس معناه اعتدالها وتوازنها، لكن هذا يتطلب جهاداً، ومعاناة ومكابدة للوصول إلى الاستقامة، وعلى الرغم من إنَّها فطرة سليمة فإن النفس الأمارة تستكرهها، لما تحتاج إليه من عنت ومشقة وتعب، لأن النفس الإنسانية بطبيعتها الأمارة ترغب في الراحة، والخمول وتكره العمل، والجد، والواجبات، لذلك فهي لا تطبق إلا ما كان سهلاً ملذاً وتستنكف ما كان صعباً، ومؤلماً؛ لذلك كان طريق الاستقامة هو الطريق الأمثل للإنسان، فيه يعتدل أمره وعن طريقه تتوازن حياته، وبالسير فيه يعرف حقوقه، وواجباته وتتأكد له الغاية في حياته على الأرض، وأن أساس الاستقامة هو مكاملة التكامل في توازن قوى النفس مع بعضها ومع الآخرين ومع موجودات الكون. (الشرقاوي، ١٩٨٣: ١٢١).

٣. الوظيفة الثنائية في النفس البشرية:

إن الأساس الذي يعتمد عليه مبدأ (توازن الأضداد والوسط العدل) لا يقوم على أساس التوازن بين الخطوط العريضة الواسعة المدلول مثل الجسم، والروح، والعقل... الخ، ولكن في

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) الشورى: ١٥.

النفس البشرية إلى جانب ذلك خطوطاً دقيقة (أوتاراً) دقيقة والإسلام يوقع عليها جميعاً أنغامها المناسبة، جميعها في آن واحد... وأن من عجائب التكوين البشري تلك الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازنة كل أثنين منها متجاورات في النفس، وهما في الوقت ذاته مختلفان في الاتجاه. (الخوف والرجاء) (الحب والكره) (الإيمان بما تدركه الحواس -الإيمان بما لا تدركه الحواس) (الفردية - والجماعية) (السلبية - والإيجابية) (الفجور - والتقوى) (تزكية النفس - دسّ النفس) (الشكر لله-الكفر) (الوسوسة- الإيمان بالله) ... الخ. أي أنَّ النفس تحمل الاستعداد لاستقبال رسائل (سفلية شيطانية) تنشط، وتبعث فيها كل الأفكار، والاتجاهات، والمشاعر الخبيثة السلبية، وكل ما يرتبط بدوافع الفجور، وفي الوقت عينه تحمل الاستعداد لاستقبال رسائل (علوية إلهية) تنشط، وتبعث فيها الأفكار والاتجاهات والمشاعر الطيبة الإيجابية، وكل ما يرتبط بدوافع التقوى.

وهذا التركيب يؤثر في مدى وكيفية استقبال الشخص لمؤثرات العالم الخارجي، والأحداث وقابليته للإصابة بالأمراض النفسية والعقلية، أو مدى شعوره بالصحة النفسية، ولنأخذ مثالين على ذلك من أعلام الصحابة) (رضوان الله عليهم أجمعين)، قال ابن عباس رضي الله عنه: (ليس من أحد يحزن ويفرح ولكن المؤمن يجعل مصيبته خيراً وغنيمته خيراً) وبذلك يستقبل المؤمن حدثين متناقضين بنفس قوية ثابتة. وقال عمر رضي الله عنه: (ما أصابتني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم: الأولى إنها لم تكن في ديني والثانية: أنها لم تكن أعظم مما كانت. والثالثة: إن الله يعطي الثواب العظيم والأجر الكبير. ولم يكن هذا إلا نتيجة اقتداءهم بسنة المصطفى ﷺ القائل: ((عجباً لأمر المؤمن أن أمره كله خير. إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له. وأن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). (المهدي، ١٩٩١: ٥٤-٥٦).

٤. الإنسان قوة إيجابية فاعلة:

إن الإنسان (وكما يريد الله سبحانه وتعالى) قوة إيجابية فاعلة موجهة مريدة وهي قوة موجبة، ودافعه إلى الأمام، قوة تقود القوة المادية، وتسخرها في عمارة الأرض تحت مبدأ (كل شيء بقدر)، وليس السعي لخرابها. وبالمقابل فإن هذه القوة الفاعلة تتحول إلى سلبية عندما يختل التوازن بين أي من عوامله إن كانت داخل النفس البشرية، أو بينها وبين غيرها، أو بين كل هذا، وموجودات الكون فعندها تقود السلبية إلى التدمير بدلاً من الأعمار. (قطب، ١٩٨٥:

٣٣). (والإيجابية الفاعلة) من أهم الأسس التي أصبح مجتمعنا بأمس الحاجة لها بعد أن ركن إلى السلبية، والتراخي والتكاسل اللامبالاة). (نجاتي، ١٩٨٧: ٦٢).

والمنهج الإسلامي في التربية ينمي الإيجابية لدى الفرد، فهو يريد من المسلم أن لا يقف من الأحداث متفرجاً، وإنما يكون فاعلاً إيجابياً يتربى على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والفساد، والتسيب، والانحراف، والظلم، وأن تكون له غيرة على دينه وعرضه وماله، ونفسه، وأهله، وجيرانه، وأقاربه وصولاً إلى غيرته على بلده وأمته، يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[١]، والمسلم لا يقف ساكناً أمام المنكر، وعليه أن يتخذ موقفاً فاعلاً إيجابياً حسب ما يستطيع، حيث قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٢]، وقال النبي الصادق الأمين محمد ﷺ: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)). (رواه مسلم، وهو متفق عليه).

والمسلم مدعو لكي يساعد أخاه المسلم على الخير والمعروف، ويقف منه موقف الأخ والصديق، قال تعالى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٣]، والمتمعن جيداً في (القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة) يجد التأكيد واضحاً على الإيجابية [ومن مظاهر الإيجابية دعوة المسلمين إلى التعاون على البر والتقوى، ونهي التعاون على الأثم، والعدوان، قال تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾[٤]، ومظاهر الإيجابية في القرآن الكريم، والسنة النبوية كثيرة، فهي تتمثل في كل عمل صالح وصحيح أي كل عمل تكون النية فيه لله تعالى وصحيحاً حسب القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، والمهم في الإيجابية هو العمل الصالح وليس السكوت، أو الركون،

(١) آل عمران: ١٠٤.
(٢) آل عمران: ١١٠.
(٣) آل عمران: ١١٤.
(٤) المائدة: ٢.

أو السلبية. (نجاتي، ١٩٨٧: ٦٠). والقوة الفاعلة الإيجابية للإنسان المسلم تمثل صمام الأمان لهذا الكون؛ لأنها تجعل العبودية لله وحده، وأن الثمرة المترتبة على هذه القوة الفاعلة الإيجابية يوجزها أحد العلماء فيقول: (لقد كانت الحضارة المنبثقة عنها إلهية الروح خلقية النزعة، علمية التفكير، مادية الوسيلة، إنسانية الغاية، فهي ليست مجرد مفهوم ذهني بل ذات بعد سلوكي فلا فصل بالإسلام بين العقيدة، والسلوك). (عبد الله والأقطش، ١٩٩٤: ٩٤).

٥. الإسلام دين الفطرة:

ورد ذكر (الإسلام) في القرآن الكريم أكثر من (٥٠) خمسون مرة في مواضع مختلفة من أجزائه الثلاثين، وفقاً لمعانٍ مختلفة حسب مضمون الآية. (أسود، ١٩٨١: ٢٤٨).

والإسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي بلغه كل الأنبياء، وحملوه إلى الإنسانية وانتسب إليه كل اتباع الأنبياء. (الكبيسي، ١٩٩٦: ٥٣).

فنوح عليه السلام يقول لقومه في قوله تعالى ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[١]، ويعقوب عليه السلام يوصي بنيه في قوله تعالى ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[٢]، وأبناء يعقوب عليه السلام يجيبون أباهم بقوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[٣]، وموسى عليه السلام يقول لقومه بقوله تعالى ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[٤]، والحواريون يقولون لعيسى عليه السلام بقوله تعالى ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[٥].

ويتضح من هذا أن الإسلام هو دين الله الذي جعله فطرة روح الله في آدم مذ خلقه، ولذلك يشترك فيه كل الأنبياء، والمرسلين: ويقول (سبحانه وتعالى) ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٦]،

(١) يونس: ٧٢.
(٢) البقرة: ١٣٢.
(٣) البقرة: ١٣٣.
(٤) يونس: ٨٤.
(٥) آل عمران: ٥٢.
(٦) آل عمران: ١٩.

وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[١]، ويذكر (أورنخ كاي) ما قاله (لانج) (من أن وظيفة الأنبياء تتعلق بتصحيح دين التوحيد بالفطرة، الذي يعتبر الانحراف عنه سمة بشرية ليس للرجل البدائي وإنما المثقفين أيضاً فيأتي دور الأنبياء لتصحيح هذا الانحراف) (أورنج كاي، ١٩٨٣: ٢٨)،

وطالما أن الدين عند الله الإسلام، وأن الدين فطري، فإن الإسلام هو دين الفطرة بقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[٣].

وجاء في حديث نبوي رواه الإمام أحمد وأخرجه النسائي في سُننه أن رسول الله ﷺ قال: ((إلا أنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة، فما تزال عليه حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها أو يمجسانها أو ينصرانها)). (نجاتي، ٢٠٠٢: ٢).

- **ثانياً: ميزات المنظور النفسي في الإسلام:**

١. هو منظور تكاملي يقوم على مبدأ (مكاملة التكامل) الذي يتخذ منهج الوسط العدل لتحقيق الاستقامة.

٢. هو منظور أخلاقي في كل تفاصيله فهو يوحي، ويهتم بغرس المبادئ، والقيم الأخلاقية، والفضائل السلوكية للناس.

٣. هو منظور إيماني يهدف إلى غرس الإيمان في قلب الفرد ووجدانه وتأصيل هذا الإيمان، وترسخيه، وتحويله إلى حيز الوجود الفعلي، والسلوك العملي.

٤. هو منظور عقلاني معرفي، لا مجال للخرافة، أو الشعوذة، أو الدجل أو الوهم، أو الأفكار الفلسفية أو الميتافيزيقية؛ ولأنّه يخاطب عقل الإنسان وفكره، وحسه، ووجدانه،

(١) آل عمران: ٨٥.
(٢) الروم: ٣٠.
(٣) الأعراف: ١٧٢.

ويعتمد على الإقناع، والبرهنة، والتبصير بالأدلة، والشواهد من معجزات الله (سبحانه وتعالى) في مخلوقاته، وآياته في أحداث الكون، والطبيعة لاسيما في نفس الإنسان، فهو يدعو للتأمل والنظر والتدبر، واستخلاص العبر والشواهد للوصول إلى النتائج القائمة على أساس الاستدلال، العقلي، والمنطقي، وهو بذلك يستعمل التجريب القائم على المشاهدة للظواهر الكونية، والإنسانية، والتأمل فيها، وملاحظتها ملاحظة دقيقة بغية الاهتداء إلى خالقها (جلت قدرته) (عيسوي، ١٩٧٩: ٣١).

٥. هو منظور شمولي (عبر الزمان والمكان)، فطالما أن هذا المنظور يعتمد (القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة) المصدران العظيمان له، ولا مصدر ثالث لهما؛ لأن هذين المصدرين هما قانونا الحياة إلى (يوم الفصل)، فإن هذا المنظور سيبقى حياً مورقاً (إن شاء الله)، لأنه يستمد حيويته من الإسلام (بقرآنه الكريم وسنته النبوية المشرفة)، وسيبقى منهلاً عذباً مفيداً لأي جنس من البشر يريد الفائدة الحقيقية، والخلاص والهداية، وفي أي وقت وفي أي زمان ومكان.

- **ثالثاً: النفس: طبيعتها - سوءها - لومها - رضاها- طاقتها - صراعاتها.**

١. النفس: طبيعتها، ودلائل، وجودها، وتمييزها عن المفهومات القريبة منها:

وردت كلمة (النفس) في القرآن الكريم في (٣٦٧) موضعاً، ومهما تعددت معاني النفس فإنها في القرآن تعني وتدل على الذات بمجموعها، وهي أقرب ما تكون إلى لفظ يشمل الإنسان كله. (صالح وطارق، ١٩٩٦: ٢٤٥). ومفهوم الشخصية في علم النفس الحديث أقرب ما يكون إلى مفهوم النفس في القرآن الكريم. (القبانجي، ٢٠٠٢: ٥).

والنفس غير الروح، وكذلك لا تعني القلب، وهي مختلفة عن مفهوم العقل. فالنفس كما يرى (الكندي): (جوهر عقلي متحرك من ذاته وأنها جوهر الهي روحاني لا طول له، ولا عمق، ولا عرض، وهي نور الباري، والعالم الأعلى الشريف الذي تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت هو مقامها الأبدي، ومستقرها الدائم)، (أبو رّيان، ١٩٧٦: ٢٣٧).

ويرى (ابن سينا): (أنها جوهر وصورة، جوهر في ذاتها وصورة من حيث صلتها بالجسم. (الطائي، ٢٠٠١: ٨).

أما مسكويه فيرى (أنها جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس، وأنها ليست بجسم ولا جزء من جسم، ولا حال من أحوال الجسم وأنها شيء أخر مفارق للجسم بجوهره وأحكامه وأفعاله. (صالح وطارق، ١٩٩٦: ٢٥٢). ويتفق (ابن سينا)، (والرازي)، مع (الغزالي) في أن النفس يمكن إثبات، وجودها بالبراهين والأدلة الآتية:

أ. البرهان الأول: هو أن الجسد عرضه للتغيير، والتبدل والزيادة، والنقصان. أما النفس فباقية على حالها؛ لأنها بسيطة. ويقول ابن سينا في ذلك (تأكد أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً جميع عمرك وحتى أنك تتذكر كثيراً من أحوالك فأنت إذن ثابت مستمر ولاشك في ذلك، وبدنك وأجزاءه ليس ثابتين مستمرين، بل هما أبداً في التحلل والانتقاص.. فذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزاءه الظاهرة والباطنة). أما الغزالي فيقول: (بأنك إذا تأملت نفسك، وبدنك فإنك تعلم أن نفسك منذ ولدت لم تتبدل، وأن نفسك ليس من البدن). (الطائي، ٢٠٠١: ٢).

ب. البرهان الثاني: بما أن الإدراك امتازت به الكائنات المدركة، فلا بد لها من قوى زائدة لتقوم بأدائه، فالحيوان فضلاً عن كونه يتحرك بشيء غير جسميته فإنه يدرك بغير جسميته أيضاً، وذلك لأن الجسم مزاج واقع بين أضواء مختلفة متنازعة فكان لابد من قوة تحركها على الالتئام، فأصل القوى المحركة، والمدركة، والحافظة للمزاج شيئاً آخر نسميه نفساً. والشهوة، والغضب، والانفعال (كالضحك، والتعجب) وهي مظاهر نفسية تلي الإدراك تدل على أنه لابد من مبدأ لهذه الأفعال فضلاً عن الجسمية. (الطائي، ٢٠٠١: ٣).

ج. البرهان الثالث: هو أن الإنسان إذا تجرد في تفكيره عن كل شيء من المحسوسات والمعقولات فلا يمكنه أن يتجرد عن تفكيره من أنه (موجود) وأنه يستطيع أن يفكر، حيث يقول الغزالي: (إذا كنت صحيحاً مطرحاً عنك الآفات مجنباً عنك صدمات الهوى وغيرها، من الطوارق، والآفات فلا تتلاشى أعضاؤك، ولا تتماس أجزاؤك وكنت في هواء طلق، ففي هذه الحالة لا تغفل عن (أنيتك) وحقيقتك، فكل من له فطانة، ولطف وكياسة يعلم أنه جوهر وأنَّه مجرد عن المادة، وعلائقها لا تغرب ذاته عن ذاته؛ لأن معنى التعقّل حصول ماهية مجردة للعاقل، وذاته مجردة لذاته فلا يحتاج إلى تجريد، وتقشير وليس ها هنا ماهية ثم معقولية بل ماهية معقولة، ومعقولية ماهية). (الغزالي، ١٩٩٠: ٣٠).

د. البرهان الرابع: تشترك جميع الأجسام بأن لها ثلاث أبعاد متقاطعة ولكنها تختلف في (الحركة والسكون)، وهي لا تتحرك بذاتها بل بمعنى، وراء الجسمية هو (النفس)، ونحن نشاهد أجساماً تحس وتتحرك بالإرادة، وليس ذلك بجسميتها، فينبغي أن يكون لها مبادئ أخرى تصدر عنها هذه الأفعال فكل ما يكون مبدأ لصدور أفاعيل ليست على وتيرة واحدة فإننا نسميه – نفساً–؛ لأن تحركها لو كان لأجل جسميتها فينبغي أن تكون كل جسم متحركا؛ لأن الحقائق لا تختلف. وما يجب لنوع يجب لجميع الأنواع، وإن كان لمعنى (وراء الجسمية) فذلك المبدأ هو النفس. (الغزالي، ١٩٩٠: ٢٩).

أما الروح فقد وردت في القرآن الكريم بـ(إحدى وعشرين مرة) وكل واحدة لها معنى خاص. فتأتي بمعنى (القرآن) في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾[١]، وتارة بمعنى جبريل عليه السلام، قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ ﴾[٢]، وأخرى بمعنى الرحمة، في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴾[٣]، ومن معانيها أنّها السر الإلهي، حيث أودعها الله (سبحانه وتعالى) في سلالة الإنسان حين كان مادة – قال تعالى ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ ﴾[٤]، وقال تعالى ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ ﴾[٥]، وتبقى الروح من الله (العزيز القدير، سبحانه وتعالى) سراً من أسراره، يقول تعالى ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾[٦]، (الكبيسي، ١٩٨٧: ٢٦).

ويرى (الغزالي) (أن الروح جسم لطيف منبعه في تجويف القلب الجسماني فينتشر بوساطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن، وجريانه في البدن، وفيضان أنوار الحياة، والحس،

(١) الشورى: ٥٢.
(٢) الشعراء: ١٩٢-١٩٣.
(٣) يوسف: ٨٧.
(٤) الحجر: ٢٩.
(٥) السجدة: ٩.
(٦) الإسراء: ٨٥.

والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضاناً من السراج الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به، والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان، والروح مثاله السراج، وسريان الروح، وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت، والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أردوا به هذا المعنى: وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب، ويرى الغزالي أيضاً معنى أخر للروح هو (اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي أراده الله عزوجل ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾[١]، وهو أمر عجيب، تعجز أكثر العقول والإفهام عن درك حقيقته). (الطائي، ٢٠٠١: ٢١).

ويتفق كل من (الخولي، ١٩٧٤) و (نجاتي، ١٩٨٧) في أن الروح (عنصر علوي يتضمن استعداد الإنسان لتحقيق معالي الأمور، وأقدس الصفات فهو الذي يؤهله للارتفاع فوق مستوى الحيوان ويقرر له أهدافه، وغاياته العليا في الحياة، ويرسم له خطوط منهاجه، ويضيف إلى بشريته النزوع إلى مصدر القيم والمعارف التي تجعل له حقيقة الإنسان. (الخولي، ١٩٧٤: ٣٣). (نجاتي، ١٩٨٧: ٢٠٩).

ويضيف نجاتي أن (الروح والمادة) يمتزجان معاً في، وحدة متكاملة متناسقة. وتتكون من هذا المزيج ذات الإنسان، وشخصيته. (نجاتي، ١٩٨٧: ٢٠٩).

أما (العقل) فيؤكد القرآن الكريم حريته التفكير الناقد، ورفض التقليد الأعمى، حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾[٢]، ويؤكد الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم فطرة العقل بقوله ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾[٣]، ومعدن هذا العقل من نور، بقوله تعالى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾[٤]، وقال تعالى ﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا

(١) الإسراء: ٨٥.
(٢) البقرة: ١٧٠.
(٣) الإنسان: ٢-٣.
(٤) الأنعام: ١٢٢.

فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[١]، ومنطلق هذا العقل هو البيان والوضوح، بقوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[٢]، وغاية هذا العقل هي الهداية، أما عند علماء الكلام المسلمين فيرون أنّ العقل هو (علوم ضرورية، بها يتميز العاقل من غيره إذا أتصف بها، وهي العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات). ويرى آخرون منهم هو (هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات)، أما عند المتصوفة هو (ما موجود عند كل إنسان طبيعي وبسببه يكلف ويحاسب ويكون مسؤولاً أمام الله عن تصرفاته) وفيه قسمان:

١. **العقل الشرعي**: هو من فقه عن الله (سبحانه وتعالى) وعقل خطابه فآمن به، والتزم فيه وذلك هو العاقل.

٢. **العقل التكليفي**: لم يفقه عن الله، ولم يلتزم، فهو لم يحصل العقل الشرعي.

وقال سبحانه وتعالى واصفاً أهل النار ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[٣]ويرى (بن عبود) أن العقل (هو المكلف برسالة الإنسان في الأرض، وهو أشرف وظيفة عرفانية، وأرقى ملكه معنوية تنطلق من الرشد، والنضج النفساني، ابتداءً من التعلم، والتهاتف إلى العلم الديني، والدنيوي حتى يعمل إلى أعلى درجات الحكمة، التي اكتسبها الإنسان، وعندها يجني الخير الكثير، قال تعالى ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[٤]، وهو أساس المسؤولية والشخصية، إذا أصيب الجسم بعطب، او مرض فإن ذلك لا يؤثر على الشخصية كالمقطوع اليد مثلاً، يظل محتفظاً بهويته. وإذا ما أصيبت النفس بهزة عنيفة، أو كارثة، أو توتر مزمن فإن، ذلك قد لا يمنع صاحبه من مزاولة أعماله. أما إذا فقدت الذاكرة واستولت عليه الهلاوس أو استفحل الهذيان، أو ظهر الفصام، وغير ذلك من أمراض العقل. فإن الشخصية تنهار، وتتفكك، وتضمحل نهائياً، ويصبح الشخص اسماً من دون مسمى.

---

(١) النور: ٤٠.

(٢) الرحمن: ٣-٤.

(٣) الملك: ١٠.

(٤) البقرة: ٢٦٩.

أما إذا احتفظ الإنسان بسلامة العمليات الفكرية في التعلم، والعمل والمناهج العملية المادية التطبيقية دون اعتبار لآيات الله في العلن والخلوة في عالم الغيب وعالم الشهادة فإن ذلك يجعله متمتعاً بالفكر لا بالعقل، إذ (لا عقل لمن لا دين له) كما يقول الرسول ﷺ وسوء استعمال العقل، أو نقصانه أو تخديره بالمخدرات، والمسكرات، والأفكار الباطلة مثلاً فإنه ينزله منزلة الحيوان الذي يأكل ويشرب... الخ .. ثم يصير تراباً لا معنى له، وهذا ما يؤدي إلى العبث المشهور في المذاهب الفلسفية الوجودية الملحدة، وهو نوع من المرض الذي لا علاج له إلا الإيمان.

ووفقاً للإسلام فإن العقل هو أساس التكليف، والأمانة وهو الطريق المنجي، من الظلمات، والاضطرابات النفسانية والاجتماعية. (بن عبود، ٢٠٠٢: ٥).

أما القلب فجاء بمعانٍ عدة في القرآن الكريم، فوصَفَ (سبحانه وتعالى) القلوب المريضة بقوله ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[١]، والقلوب المريضة تصغي لوسوسة الشيطان، بقوله تعالى ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ ﴾[٢]، ويجعل الله (سبحانه وتعالى على قلوب معينة غشاوة، بقوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ﴾[٣].

والقلب هو دليل الإنسان المؤمن، وقد تصاب بعض القلوب بالعمى عندما تهوي في الضلالة، حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٤]، وبعض القلوب تكون قاسية، وبعضها سليم لقوله سبحانه وتعالى ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم ﴾[٥]، وقول تعالى ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾[٦]، ويعطي الغزالي معنيين للقلب (أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في

(١) البقرة: ١٠.
(٢) الأنعام: ١١٣.
(٣) البقرة: ٧.
(٤) الحج: ٤٦.
(٥) الحج: ٥٣.
(٦) الشعراء: ٨٨-٨٩.

الجانب الأيسر من الصدر، وهو منبع الروح ومعدنها. والمعنى الآخر هو لطيفة ربانية روحانية، لها بهذا القلب الجسماني تعلّق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب، والمعاقب والمعاتب، والمطالب، وله علاقة مع القلب الجسماني. وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه هذه العلاقة فهي تضاهي علاقة الصفة بالموصوف، أو المستعمل للآلة بالآلة). (الطائي، ٢٠٠١: ٢٦).

ويرى (بن عبود) أن القلب هو الحامل لنور الله، وهو مركز النية، والإخلاص، والذوق السليم، والإلهام، والنور الذي (يقذفه الله قرب القلب) بحسب تعبير (الغزالي)، وأهم ما ينبغي عده بالنسبة إليه هو التوجه بمعنى (استقبال قبلة الله النورانية) لا (قبلة الأهواء الشيطانية الظلمانية) فهو مركز الهداية، أو مركز الظلال.(بن عبود، ٢٠٠٢: ٥). وقال بعض المحققين: (أن الجمع بين القلب وبين النفس للتأكيد، لأن طمأنينة القلب من طمأنينة النفس). (النووي، ١٩٧٠: ٣٦٥). قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[1]، ويقسم (القحطاني، ١٩٩٨) القلوب على ثلاث:

١. **القلب السليم**: هو الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله، ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خيره فسلم من عبوديه ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسول الله ﷺ، وقال تعالى ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾[2].

٢. **القلب الميت**: وهو ضد الأول، وهو الذي لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره، وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته، ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو متعبد لغير الله: (حباً، وخوفاً، ورجاءاً، ورضاً، وسخطاً، وتعظيماً، وذلاً) إن أبغض فلهواه، وإن أحبَّ فلهواه، (فالهوى إمامه والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه). (نعوذ بالله من هذا القلب).

٣. **القلب المريض**: وهو قلب له حياة وبه عله، فله مادتان تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه: ما هو مادة حياته. وفيه من محبة الشهوات والحرص على تحصينها، والحسد، والكبر، والعجب وحب

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) الشعراء: ٨٨-٨٩.

العلو، والفساد في الأرض بالتسلط والنفاق والرياء، والشح والبخل ما هو مادة هلاكه وعطبه. (نعوذ بالله من هذا القلب أيضاً).

- **ويقسم (القحطاني) أمراض القلب هذه إلى نوعين هما:**

أ. نوع لا يتألم به صاحبه في الحال: وهو مرض الجهل والشبهات والشكوك وهو أعظم النوعين ألماً ولكن لفساد القلب لا يحس به.

ب. نوع مرض مؤلم في الحال: كالهم، والغم، والحزن، والغيض، وهذا النوع قد يزول بأدوية طبيعية بإزالة أسبابه وغير ذلك. (القحطاني، ١٩٩٨: ١٤٩-١٥٠).

والجسم هو نقطة الوصل بين العالم، وبين الإنسان، وبينه وبين نفسه. وهو الصورة الظاهرة للهوية الإنسانية التي تتميز عن صورة الحيوان بإضفاء معنى (الحياة المسؤولة- النبرّة) لأعضاء الجسم الذي خلق من أجل غاية شريفة. فالجسم بهذا المعنى يرادف معنى (الجوارح): أي أنَّه مجموعها أو مجموع الغايات التي خلقت من أجلها. إن اليد مثلاً خلقت للعمل الصالح المثمر، لا للبطش والسرقة، وأشياء أخرى، فإن أعضاء الجسم خلقت لتستنير بتعاليم الدين من عبادات، وشريعة لتزكية النفس وشفائها في دائرة الطيبات، والحلال، والإحسان، والأمان، وحمايتها من الخبائث، والحرام، والإفساد. (بن عبود، ٢٠٠٢: ٣).

٢. مراحل النمو النفسي- الإيماني:

أن للنفس ثلاثة أقسام أو مراتب نتيجة للنمو النفسي - الإيماني. حيث يمر الإيمان بالنفس، لتأخذ هذه النفس نفحتها الإلهية الحقيقية، وتقوض شيطانها، وتكون تقية فإنها تمر بثلاث مراحل من النمو الإيماني (الروحي) (Arther،2002،P: 2):

أ. النفس الأمارة بالسوء: حيث يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]، وسميت أمارة لأنها تقود صاحبها إلى السوء، وتأمر باللذات، والشهوات، وتهوي بالإنسان إلى مزالق الشيطان، والأعمال المنكرة، والقبيحة والأخلاق السيئة، وتؤدي بصاحبها إلى الهلاك. (الطائي، ٢٠٠١: ١٤). والنفس الأمارة بالسوء رأسها الكبر، وعينها العجب، وفهمها الحسد، ولسانها الكذب، وأذنها النسيان، وصدرها الحقد، وبطنها

(١) يوسف: ٥٣.

الشهوة ويدها الخيانة والسرقة، ورجلها التسرع، وقلبها الغفلة، وهدفها الكفر، وتبيع الجنة ونعيمها، وخلودها شهوة ساعة في دار الفناء، ولا تموت بالمجاهدة، لكن تخنس وتغيب ثم تعود عند التغافل عن المجاهدة فلا يؤمن شرها أبداً. (بن عبد الله، ١٩٨٧: ١١٦).

وتتميز النفس الأمارة بالسوء بعدم الاستقرار الانفعالي، قال تعالى واصفاً صاحب هذه النفس ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ ﴾[١]، والشيطان هو قرين النفس الأمارة بالسوء، وهو المسخر والميسر لطاقتها وهو قائداً لها، فهو يعدها ويمنيها، ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء، ويزين لها، ويمدها بأنواع الإمداد بالباطل، ويستعين عليها هواها، وإرادتها فمنه يدخل عليها كل مكروه. (الطائي، ٢٠٠١: ١٤). ويرى (صالح والطارق، ١٩٩٦) أنها تماثل (الهوid) في نظرية التحليل النفسي فإذا كانت جامحة لا يستطيع الأنا ترويضها فإنها تفضي بصحابها إلى التهلكة. والنفس الأمارة إذا تمادت في الإلحاح للميل إلى الملذات فإنها تنحدر إلى مستويات دونية، مما يولد لصاحبها الشعور بالذنب، وعذاب الضمير، والقلق، والشعور بعدم الأمن. (صالح وطارق، ١٩٩٦: ٢٤١).

ومن خصائص النفس الأمارة بالسوء، التي تحركها الفطرة الفاجرة التي أصبح الشيطان قريناً لها هي:

١. **التطرف، والخروج عن الاعتدال:** قال تعالى ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٢٩ ﴾[٢].

٢. **العجلة والتسرع:** قال تعالى ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾[٣].

٣. **الضعف والعجز:** قال تعالى ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨ ﴾[٤].

٤. **النزوع إلى الشر، والعزوف عن الخير:** تقديم الفجور على التقوى لقوله تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا

(١) المعارج: ٢٠.
(٢) النساء: ١٢٩.
(٣) الأنبياء: ٣٧.
(٤) النساء: ٢٨.

سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾[١].

٥. **التمرد والمكابرة والعناد:** قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ ﴾[٢].

٦. **ضدة الحرص، والنهم،** والاكتناز والتكالب على جمع المال، قال تعالى ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ ﴾[٣].

٧. **الشح، والبخل،** قال تعالى ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٦ ﴾[٤].

٨. **صفات أخرى:** مثل حب التغيير، وعدم الاستقرار، والتسرع، والعجلة، والحسد، والغيط والغضب والتسويف، والمماطلة والبخل وشدة الحرص وقصر النظر، وضعف البصيرة واللجاج في الحق والتعصب الأعمى، وكل الصفات الشيطانية. (عدس، ب، ت: ١٢٢-١٢٥).

ب. **النفس اللوامة:** قال تعالى ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾[٥]، وهي النفس التي تحركها التقوى، وتروم الاستقامة، وتجاهد الفجور، وهي دائمة اللوم لصحابها إن فعلت خيراً تلوم ذاتها إنها لم تكثر منه، وإن فعلت شراً أو قارفته تلوم ذاتها، لأنها اجترحته. والنفس اللوامة تميل إلى مراقبة ذاتها، ذلك إن فيها دوافع الخير ودوافع الشر أيضاً بما فيها اغراءات الهوى ولديها ضمير يقوم بمحاسبتها إذا قصرت، أو أخطأت، فالإنسان قد يفلت من محاسبة الجميع، ولا يفلت من حساب هذه النفس. (الوتاري، ١٩٩٦: ٢٠٢).

ويرى (بن عبود) في النفس اللوامة: هي ذلك الضمير الحي المتجه نحو الغايات النبيلة الثلاث (الحق والتقوى والبر). (بن عبود، ٢٠٠٢: ٣).

---

(١) الشمس: ٧-٨.

(٢) يس: ٧٧.

(٣) الفجر: ١٩-٢٠.

(٤) التغابن: ١٦.

(٥) القيامة: ٢.

ج. النفس المطمئنة: قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ ﴾[1]، وهي النفس التي استنارت بنور القلب فتركت صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة وهي متجهة إلى القلب متحررة من البدن كلية وهي النفس الناعمة بروح اليقين الواثقة بفضل الله ونعمته ورحمته وهي مطمئنة إلى ربها، المطمئنة إلى طريقها إلى قدر الله (سبحانه وتعالى في السراء والضراء، وفي البَسْط، والقبض وفي المنع والعطاء، فهي مطمئنة ولا ترتاب ولا تنحرف ولا تتعثر، ولا ترتاب ليوم الهول الرهيب). (الطائي، ٢٠٠١: ١٦).

ويرى (بن عبود) في النفس المطمئنة هي المتميزة بالاستقرار والتوازن والاعتدال ومتانة الرأي وصواب الحكم استناداً إلى الوحي الإلهي في الكتاب والسنة لتحيا حياة طبيعية بعيدة عن طغيان الجاه والمال والشهوات والأهواء والفساد مستوفية للشرط الأساسي للحياة الطيبة وهو الاستجابة لله (سبحانه وتعالى) والرسول ﷺ إذا دعاها لما يحييها. (بن عبود، ٢٠٠٢: ٣-٤).

(والنفس المطمئنة تحل عليها البركة وتقنع وتشعر بالسلام وهي في سلام دائم لأنها تعلم أنه برغم خطاياها في الدنيا ستعود إلى ربها راضية مرضية). (Ather،2002،P: 28).

- **فيما أورد (ابن القيم الجوزية) مراتب أو (دور) للنفس حددها بأربعة هي:**

١. **الدار الأولى:** في بطن الأم، وذلك الحصر، والضيق، والغم والظلمات الثلاث.

٢. **الدار الثانية:** هي الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاء.

٣. **الدار الثالثة:** هي دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار، وأعظم، بل نسبتها إليه كنسبه هذه الدار إلى الأولى.

٤. **الدار الرابعة:** هي دار القرار، الجنة أو النار، فلا دار بعدها. (صالح والطارق، ١٩٩٦: ٢٣٩).

ويمكن أن نتصور هذه المراحل الثلاث التي تمر بها النفس البشرية من (أمارة السوء) إلى (اطمئنان النفس) على أنّها حالات تتصف بها شخصية الإنسان في مستويات مختلفة من الكمال الإنساني التي تمر بها في أثناء صراعها الداخلي بين جوانبها المختلفة. (نجاتي، ١٩٨٧: ٢١٧).

(١) الفجر: ٢٧-٢٨.

وقد يبدو للبعض أن هناك تشابهاً بين هذا التصور القرآني وتصور فرويد للشخصية وصراعتها، إلا أن الأمر مختلف تماماً، إذ أن فرويد لم يدخل أبداً العامل الروحي في تصوره وهو الأساس في بناء الشخصية، كما وأن أعلى حالات التسامي التي أقر بها فرويد لا تتعدى حدود النفس اللوامة. وأن هذه المراحل الثلاث للنمو النفسي – الإيماني في التصور الإسلامي ما هي إلا حالات لمراحل تمر بها النفس في أثناء صراعاتها الداخلية بين المرسلات الرحمانية والمرسلات الشيطانية، وهي ليست أقساماً للنفس كما يتصور قسم من العلماء، كما وأنها لا تتكون أثناء مراحل نمو معينة مثل أنظمة الشخصية عند فرويد، في حين يقع الصراع النفسي في نظرية فرويد بين أقسام النفس الثلاث فإنه يقع وفقاً للتصور الإسلامي بين الجانب المادي متمثلاً بالمرسلات الشيطانية، وبين الجانب الروحي متمثلاً بالمرسلات الرحمانية من شخصية الإنسان، وتبعاً لنتيجة هذا الصراع تنشأ الحالات الثلاث. (الأمارة، اللوامة، المطمئنة).

٣. الطاقة الروحية:

إنّ القيم الروحية النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان، وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان، وعلى منحه طاقة روحية لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة. (عيسى وآخرين، ب – ت: ٤٠) وقد تبين من البحوث الحديثة أن أصل كل طاقة هي (طاقة روحية) فقد انتهى علماء الفيزياء، والعلوم التطبيقية إلى القول بـ: (لامادية المادة ولا شيئية الأشياء ولوجوهرية الجوهر) وذلك أنهم لما واجهوا الحد غير المتناهي في الصفر للمادة بعد تجزيء المادة، وتقسيم الذرة على أنواع كثيرة من الكهارب على أشكالها المختلفة والمعقدة وقفوا في النهاية عند مفهوم الطاقة (الألكترمغناطيسية)، والتجوال في مجال من العمليات الرياضية بحيث أقترب المبنى المادي للأشياء بالمعنى المجرد للمفهومات العلمية العامة. بل تجاوز بعضهم هذا المدلول قائلاً: إن وجود مفهوم الإلكترون، والطاقة الإلكترونية فيما يخص الإنسان لا يفهم حقيقة إلا إذا أضفينا معنى روحياً على صورته في أذهاننا، والروح سيال يقوم على ذرات مخالفة لصور الذرات التي تخيلها علماء الفيزياء، وهي دوائر نورانية تخترق الأجسام والأحشاء وتسري فيها سريان النار في المادة، ولكل روح طاقة وشكل وهي درجات بقدر ما خلق الله من خلق ويؤثر ذلك في درجة العلاج.(بن عبود، ٢٠٠٢: ٦).

٤. دوافع النفس ومستقبلاتها، وصراعاتها:

إن في الإنسان طاقة روحية، هي التي تعطي للإنسان صفته الإنسانية والبشرية، وهذه الطاقة هي من روح الله، قال تعالى ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾[١]. وهي موجودة في كل مفاصل، وعوامل النفس الإنسانية، وهدفها مساعدة النفس في تحقيق غايتها الكبرى، ألا وهي خلافة الله في الأرض وحمل الأمانة، وتستمد هذه الطاقة الروحية قوتها بمستقبلات رحمانية لتوضيفها في خدمة دوافع التقوى في النفس البشرية التي تحمل استعداداً لاستقبال رسائل (علوية إلهية). (قطب، ١٩٦٢: ١٣٠). وهي المد والعون الإلهي، وهي صلة العبد بربه وتعمل هذه المستقبلات الرحمانية عندما يستمر الإنسان بهذه الصلة مع ربه عن طريق العقائد والعبادات. وتقابل هذه المستقبلات الرحمانية، (مستقبلات شيطانية). (المهدي، ١٩٩١: ٥٢). تستحوذ على الطاقة الروحية وتسخرها في خدمة دوافع الفجور في النفس الأمارة التي يكون الشيطان قريناً لها، وتحمل هذه الدوافع الأمارة بالسوء الاستعداد لاستقبال رسائل (شيطانية سفلية) من قرينها في النفس الأمارة. قال تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ ﴾[٢]. وطبيعة عمل كلاً من المستقبلات الرحمانية والشيطانية عملاً متداخلاً في الوظيفة مختلفاً ومعاكساً في الاتجاه. فإن الحكمة الإلهية اقتضت أن تكون الطاقة الروحية لوظائف النفس، لتتمكن هذه النفس من تحقيق أهدافها التي أوكلها إليها الله سبحانه وتعالى، لكن الشيطان الرجيم الذي ناصب الإنسان العداء واستحوذ على دوافعه الأمارة بالسوء، وكان قريناً لها، ولكونه كما وصفه رسول الله ﷺ: «يجري من ابن آدم مجرى الدم». فإنه ما برح أن استحوذ على أي طاقة في النفس البشرية إلا وسخرها لدوافع الفجور، ولذلك فإن أهم أهداف المستقبلات الشيطانية هي:

١. غواية الإنسان والاستحواذ على طاقته وتسخيرها في خدمة دوافع الفجور قال تعالى واصفاً وعيد الشيطان الرجيم للإنسان ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٣].

(١) الأنبياء: ٩١.
(٢) الأعراف: ٢٠.
(٣) ص: ٨٢-٨٣.

٢. التشويش على المستقبلات الرحمانية من خلال (وسوسة الشيطان)، وإضعاف صلة العبد بربه، وإضعاف استقبال الرسائل العلوية من الله سبحانه وتعالى، كي لا تقوى دوافع التقوى في النفس البشرية. وعكس هذا تكون أهداف المستقبلات الرحمانية، وبذلك فإن الصراع بين المستقبلات الشيطانية والمستقبلات الرحمانية هو صراع فطري وأزلي (ويبدو أن هذا الصراع حتمياً أيضاً مع بداية الوعي بالحاجات بين الخير والشر، وبين إتباع أوامر ونواهي الله (سبحانه وتعالى) إرضاءً له وبين اتباع غواية الشيطان، وإرضاءً للشيطان، ويقود الشيطان حملة الصراع النفسي هذه متخذاً من النفس الأمارة بالسوء منطلقاً لمهاجمة كل من النفس اللوامة، والنفس المطمئنة، ووسيلته في ذلك ما يوسوس في صدور الناس في تزيين طريق الشر، وما يترك الناس فيه من حيرة وقلق، ويأس وقنوط وما يصيبهم من غفلة ونسيان. (موسى، ١٩٩٣: ٢٧٩). ويشير القرآن الكريم إلى هذا الصراع في آيات كريمات منها في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾[١]. وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾[٢].

وإن هذا الصراع بين المستقبلات الرحمانية والمستقبلات الشيطانية لا ينقطع فإذا استحوذت المستقبلات الشيطانية على الطاقة فإنها توظفها في إشباع دوافع الفجور في النفس الأمارة بالسوء ومن ميزات هذه الدوافع أنها تحقق لذة حياتية آنية زائلة، ومن مساوئها أنها تجعل النفس تشعر بالقلق والتوتر والخوف المستمر من فقدانها لهذه اللذة الآنية، أو الصعوبة في الحصول عليها، أو تكتشف دائماً أنها تعيش في لذة واهمة غير حقيقية، لأن المستقبلات الشيطانية تخدعها وتزين لها الأعمال السيئة بحيث تبدوا لها بأحسن صورة. أما إذا تمكنت المستقبلات الرحمانية من تقويض عمل المستقبلات الشيطانية، وحصولها على طاقتها الروحية، فإنها توظفها في خدمة دوافع التقوى، وعندما تحصل دوافع التقوى على هذه الطاقة فإنها تمارس عدة وظائف منها:

١. تقويض عمل المستقبلات الشيطانية وسحب طاقتها من النفس الأمارة بالسوء وتزكية هذه النفس من الفجور.

---

(١) البلد: ٤.

(٢) النازعات: ٣٧-٤١.

٢. تقوية المستقبلات الرحمانية بإدامة الصلة بين النفس، وخالقها.

٣. تقوية استعداد النفس على استلام رسائل علوية من الله سبحانه وتعالى عن طريق العقائد والعبادات.

٤. تعمل على توازن، وتكامل قوى النفس كافة، بحيث تعطي لكل وظيفة نفسية ما يكفيها من الطاقة الروحية لتمارس عملها بأفضل حالة ممكنة لكي تتكامل وتتآزر هذه الوظائف في اختيار الوسط العدل وطريق الاستقامة كما أمرها الله سبحانه وتعالى به.

٥. السمو، والارتقاء بعوامل النفس والبحث عن اللذة الآجلة ذات النفع الأكبر (الفوز بالجنة) وتفضيلها على اللذة العاجلة الزائلة ذات النفع الأقل، وعندما تمارس (التقوى) كل هذه الوظائف بعد أن تعمل المستقبلات الرحمانية بكامل طاقتها الروحية، فإنها تدخل الراحة والأمان، والاطمئنان في كل وظائف النفس وعندها تصل إلى مستوى (النفس المطمئنة).

إن هذين النوعين قد أخذا نصيبهما من الصراع على نحو أساسي، لكن بقيت هناك أنواع أخرى من الصراعات النفسية، وهو ما يحصل لعامة الناس وليس حالات متطرفة (سلبية كانت، أم إيجابية) هذه الصراعات مستمرة عبر المواقف والزمن ولم تستقر على حال فتارة تحصل المستقبلات الرحمانية على الطاقة فيبدو الإنسان فيها تقياً مؤمناً، وتقوى صلته بخالقه، وتارة أخرى تستحوذ المستقبلات الشيطانية على الطاقة فيكون الإنسان فيها فاجراً ملحداً وتضعف صلته بخالقه، أو أحياناً يأخذ كل مسار أو مستقبل قسماً من الطاقة، فتتشتت هذه الطاقة، ويصبح الإنسان فريساً للصراعات النفسية وعندها يشعر بالتوتر، والقلق، وعدم الأمن وقلة الفاعلية والكفاءة... الخ، أو أحياناً تختلف عوامل النفس في كمية الطاقة التي تحصل عليها فقد يحصل العقل على طاقة روحية من مستقبلات رحمانية أكثر من القلب فيشعر بالأثم، وتأنيب الضمير، لكنه لا يستطيع استعادة قواه النفسية بسهولة، فيحاول جاهداً استعادة وتقوية المستقبلات الرحمانية، لكنه يصطدم بطاقة مقابلة من المستقبلات الشيطانية تعيق محاولاته هذه، فيبقى شاعراً بالقلق والتوتر، لكن هذا النوع من القلق هو (رحماني)، لأنه يعرف ما يريد أن يفعل خيراً لكنه لا يستطيع. أو قد يحصل العكس، حين يحصل القلب على طاقة روحية من مستقبلات رحمانية أعلى من العقل؛ لكنه يصطدم بطاقة من المستقبلات الشيطانية (وسوسة الشيطان) فتعيق محاولاته

هذه، فيشعر بالتردد والحيرة، والقلق، لأنه لا يعرف، ولكنه يريد وهذا النوع من القلق هو (شيطاني). وقد يحصل أن تضعف الطاقة بين قوى النفس وتتداخل صراعاتها فعندها يسمى (قلقاً نفسياً)، ومن الجدير بالذكر أن: (القلق الرحماني): هو الخوف من عدم إرضاء (الرحمن الرحيم) أو إرضاء الضمير.

أما (القلق الشيطاني): هو الخوف من عدم إرضاء ملذات النفس.

أما (القلق النفسي): هو الخوف من فقدان السيطرة على النفس. نتيجة لتشتت الطاقة في كل عواملها، حيث يحدث تضارب أو تصادم أو عدم تآزر أو انسجام بين وظائف وعوامل النفس. وقد يحصل في أنواع النفوس (الأمارة، اللوامة) أن تأخذ (المرسلات الشيطانية) طاقة (المستقبلات الرحمانية) فتوظفها لصالحها بحيث تصبح أفعالها أكثر قبولاً من الآخرين، كأن تضمر أحد النفوس (مستقبلاً شيطانياً في نياتها)، وتتعامل مع الاخرين من خلال (المستقبلات الرحمانية) (الجوهر شيطاني، والمظهر رحماني)، والعكس لا يحدث، وما يحدث في النفس اللوامة هو صراع بين المستقبلات الرحمانية والشيطانية في نية الفعل بالدرجة الأساس، مما يجعل السلوك المرتبط بها مضطرباً، وغير مستقر.

أما القلب، فهو مركز النفس، وهو مصدر الطاقة الروحية فيها، وهو الموجه للكيان النفس ككل، ويعمل بحسب نوع المرسلات (رحمانية كانت أم شيطانية) ودرجة وقوة تركيز طاقتها، قال تعالى ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]. وهو ليست تكوين بايولوجي أو طاقة عاطفية، حسب، وإنما هو مركز لتفاعل جميع قوى النفس. (المعرفية والتكوينية)، والانفعالية، والاجتماعية، وهذا التفاعل لا يحدث إلا بفعل الطاقة الروحية الممتزجة والمتفاعلة في كل قوى النفس، وأشكالها اللامتناهية، ولكل من قوى النفس هذه وأشكالها اللامتناهية، درجة من التفاعل، وكلما كانت درجة أي من قوى النفس أكبر في هذا التفاعل، أعطت صفتها سمة غالبة في الشخصية إن كانت في موقف سلوكي، أو سمة مسيطرة، واتجاه هذه السمة (سلبية - كانت أو إيجابية) (شيطانية - أو رحمانية، إيمانية) تعتمد نوع المرسلات المسيطرة على الطاقة في تفاعل قوى النفس.

(١) الحج: ٤٦.

من هذا التحليل النفسي الإسلامي، تبدوا الحكمة الإلهية في خلق الإنسان، والهدف من هذا الخلق، وتبدو الحكمة الإلهية كذلك، في إنّ المسؤولية الإنسانية هي على (النفس)، وما القلب إلا مركزاً لإتمام وظائف النفس وتفاعلها ليكون سلوك النفس إنسانياً محاسباً وما العقل إلا وظيفة مركزية من وظائف النفس، لتبطل حجتها أمام الله سبحانه، وتعالى، وتكون قادرة على الاختيار، قال تعالى ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾[1]، وما الروح إلا نفحة من روح الله لهدايته إلى تزكية النفس من خلال (المد) والعون الإلهي، وهي طاقة تدخل في جميع عوامل النفس وقواها وتمتزج بها وتتفاعل معها وهي المحركة لها عندما يقوّض شيطان النفس وتكون مرسلاتها الرحمانية قوّية، ولهذه الأسباب فإن النفس من دون الروح لا تستطيع القيام بوظائفها، وعندما تقتضي إرادة الله (سبحانه وتعالى) أنْ ترجع هذه النفس إلى خالقها فإن الله (سبحانه وتعالى) يأمر ملائكته بسحب الروح منها ليذهب وظائفها، وعندها تموت. لكن هذه الروح التي خرجت من النفس عند الموت تحمل كل شفرات التفاعل لقوى النفس ورموزها منذ أن دخلت هذه النفس عند الولادة، ولذلك فإن حساب هذه النفس عند خروج الروح منها، ليس حساباً لهذه النفس كما عند دخول الروح فيها، وأن خروج هذه الروح من نفس الإنسان المؤمن هي ليس خروجاً لهذه الروح كما عند الإنسان الكافر، أو الملحد (والله أعلم).

والجسد الذي يحمل كل شفرات هذا التفاعل لقوى النفس من خلال الطاقة الروحية، فهو الهيأة الخارجية لهذه النفس التي تميزه عن الآخرين وتعطيه رمزاً لفرديته، وهو يتأثر أيضاً بنوع المرسلات (شيطانية) كانت أو (رحمانية) فإذا كانت الطاقة التي تحكم نتيجة التفاعل لقوى النفس هي ذات (مستقبلات شيطانية) فإن أعضاء الجسم تكون أدوات منفذة لطبيعة هذه المرسلات، فقد تكون اليد للسرقة، والعين للفواحش وأعضاء الجسم للزنا..... الخ). أما عندما تكون هذه الطاقة ذات مرسلات رحمانية، فإن أعضاء الجسم تكون للإيمان، والتقوى، والبر، والعمل الصالح. على إن هناك نوع آخر من الصراعات يسمى (صراع الغيبيات) الذي أخبرنا به رسول الله محمد ﷺ في خطبة الوداع، حين قال: ((فإن العبد بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين آجل قد بقى لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فلينظر العبد من نفسه لنفسه، ومن

(١) الإنسان: ٣.

دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت. فوا الذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنّة أو النار)) (عدس، ب – ت: ٣٧).

- **المبحث الثالث:**

أولاً: أنماط الشخصية وسماتها من وجة نظر علماء النفس

نظريات الانماط: الفرد فيها يصنف الى نمط معين حسب مجموعة السمات التي يكشف عنها، فاذا شارك جماعه كبيره من الافراد الاخرين في مجموعة سمات، فانه ينتمي هو وافراد هذه الجماعة الى نمط ما، وتصنف الشخصية على حسب الانماط الى الانماط المزاجية، الجسمية،والهرمونية، والسلوكية،والنفسية (طافش،٢٠٠٦: ٣٣).

ان النظريات التي تناولت مفهوم انماط الشخصية قد تمايزت وانقسمت الى عدة اقسام لتصنيف الافراد في انماط الشخصية وهي كالاتي:

١. الانماط المزاجية (Temperments Types)
٢. الانماط الجسمية (Physical Types)
٣. الانماط الهارمونية (Hormone Types)
٤. الانماط النفسية (Psychological Types)
٥. الانماط السلوكية (Behavioural Types) (الفهداوي،٥٧: ٢٠١٦)

ثانياً: صنف القران الكريم الناس على اساس العقيدة الاسلامية الى ثلاثة انماط هي:

أ. المؤمنونب- الكافرونج- المنافقون، ولكل نمط من هذه الأنماط سماته الرئيسية التي تميزه عن النمطين الآخرين. (عبود، ١٩٧٨: ١٥٥).

وقد جاء ذكر هذه الأنماط في مواقع كثيرة من القرآن الكريم، فضلاً عن أن هناك سورة كاملة في القرآن الكريم باسم كل نمط من هذه الأنماط وسماتها وهي:

ب. المؤمنون: يمكن تصنيف سمات المؤمنين التي وردت في القرآن الكريم إلى تسعة مجالات هي:

١. سمات عقيدة (الإيمان بالله، ورسله، وكتبه، وملائكته، واليوم الآخر، والبعث، والحساب،

والجنة والنار، والحياة والموت، والغيب والقدر). وكل ما ورد من سمات العقيدة الإسلامية).

٢. سمات عبادات (عبادة الله الواحد الأحد، أداء الفرائض، تقوى الله، ذكر الله، الاستغفار، التوكل على الله، الاستعانة بالله وحده، قراءة القرآن).

٣. سمات اجتماعية (معاملة الناس بالحسنى، الكرم، والإحسان، التعاون، التماسك، التكافل الاجتماعي، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، العفو، الإيثار، الإعراض عن اللغو... الخ من سمات الإيمان الاجتماعية.

٤. سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية (بر الوالدين، والإحسان لهما، صلة القربى، حسن المعاشرة بين الأزواج، احترام الكبير، والعطف على الصغير، رعاية الأسرة والإنفاق عليها، التماسك الأسري الإيماني).

٥. سمات خُلُقية (الصبر، الحلم، الصدق، الأمانة، العدل، الوفاء بعهد الله وعهد الناس، العفة، التواضع، القوة في الحق، وفي سبيل الله، عزة النفس، قوة الإرادة، التحكم في أهواء النفس وشهواتها).

٦. سمات عاطفية وانفعالية (حب الله، الخوف من عذاب الله، الأمل، والرجاء في رحمة الله، حب الناس، وحب الخير لهم، كظم الغيض، والعفو عن الناس، والتحكم في انفعال الغضب، غضّةُ النفس على أعداء الله، الغيرة على الدين، والأرض، والعرض، والمال، عدم الاعتداء على الآخرين أو إيذائهم، تجنب الحسد للآخرين، والعجب بالنفس، الرحمة، والإحسان، لوم النفس ومحاسبتها، الشعور بالندم عند ارتكاب الخطايا والذنوب).

٧. سمات عقلية، ومعرفية (التفكير في الكون، وما خلق الله سبحانه وتعالى، طلب المعرفية، والعلم، عدم اتباع الظن وتحري الحقيقة، حرية الفكر والعقيدة).

٨. سمات العمل الصالح (الإخلاص في العمل، وإتقانه، السعي والنشاط في كسب الرزق، الإيجابية الفاعلة، القيام بالعبادات جميعاً، إخلاص النية في العمل لله سبحانه، وتعالى، وأن يكون العمل صحيحاً وفقاً للشرع الإسلامي).

٩. سمات بدنية (القوة، الصحة، النظافة، الطهارة).

هذه السمات ليست مستقلة بعضها عن البعض في شخصية المؤمن، بل أنها تتفاعل، وتتكامل،

وتشترك جميعاً في توجيه سلوك المؤمن في جميع مجالات حياته، وتؤدي السمات المتعلقة بالعقيدة أثراً مركزياً في قيادة مجموعة هذه السمات (نجاتي، ١٩٨٧: ٢٢٤).

وليس جميع المؤمنين في مستوى واحد من هذه السمات وإنّما يختلفون حسب درجة دوافع التقوى عندهم وقد ذكر (سبحانه وتعالى) المؤمنين على ثلاث فئات هي:

أ. الظالمون لأنفسهم، ب. المقتصدون، ج. السابقون، قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]. وحسب تفسير (ابن كثير)، (الظالم لنفسه: هو المفرط في فعل عدد من الواجبات، المرتكب لعدد من المحرمات. والمقتصد: هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك قسماً من المستحبات، ويفعل بعض المكرهات. أما السابق للخيرات بأذن الله: وهو الفاعل للواجبات، والمستحبات، التارك للمحرمات، والمكرهات وقسم من المباحات). (نجاتي، ١٩٨٧: ٢٢٠-٢٢٩).

ب- الكافرون: يمكن تصنيف سمات الكافر التي وردت في القرآن الكريم على النحو الآتي:

١. سمات عقائدية (عدم الإيمان بالله، وتوحيده، عدم الإيمان بالرسل، واليوم الآخر، والبعث والحساب).

٢. سمات عبادية (يعبدون من دون الله ما لا يضرهم، ولا ينفعهم).

٣. سمات اجتماعية (الظلم، العدوان، المكر، النهي عن المعروف).

٤. سمات خلقية (نقض العهد، الفجور، اتباع الأهواء، والشهوات، الغرور، التكبر).

٥. سمات أسرية (عق الوالدين، قطع صلة الرحم، التفكك الأسري).

٦. سمات انفعالية وعاطفية (كراهيتهم للمؤمنين، وحقدهم عليهم، وحسدهم لهم).

٧. سمات معرفية، وعقلية (عدم التفكير في الخلق، والكون، الختم والطبع على قلوبهم، التقليد الأعمى لمعتقدات الآباء، خداع النفس، التفكير المادي).

جـ. المنافقون: هم فئة من الناس ضعاف الشخصية مترددين، لم يستطيعوا أن يتخذوا موقفاً صريحاً من الإيمان. وقد ذكر الله سبحانه، وتعالى في القرآن الكريم سماتهم المميزة لهم،

(١) فاطر: ٣٢.

وتوعدهم بأشد العقاب، وقال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[1]، وأهم سماتهم التي وردت في القرآن الكريم هي:

١. سمات عقائدية (يظهرون الإيمان إن وجدوا بين المسلمين المؤمنين، ويظهرون الشرك إن وجدوا بين المشركين).

٢. سمات عبادية (يؤدون العبادات رياءً بغير اقتناع، ولا نية صادقة، وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى).

٣. سمات اجتماعية (يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، يعملون على إثارة الفتن بين صفوف المسلمين، ويستعملون في ذلك الشائعات، يميلون إلى خداع الناس، يحسنون الكلام للتأثير على السامعين، يكثرون من الحلف لدفع الناس إلى تصديقهم، يحسنون الظهور بمظهر حسن في ملبسهم، ومعاشرتهم لجلب انتباه الناس، والتأثير عليهم).

٤. سمات خلقية (ضعف الثقة بالنفس، وبالآخرين، نقض العهد، الرياء، الجبن، الكذب، البخل، النفعية والانتهازية، اتباع الهوى).

٥. سمات انفعالية ومعرفية (التردد، والريبة وعدم القدرة على اتخاذ القرار، عدم القدرة على التفكير السليم، وكثرة استعمال الدفاعات النفسية). (نجاتي، ١٩٨٧: ٢٢٠-٢٢٩). وبين نمطي المؤمنين والمنافقين توجد أنماط أخرى حسب درجة الإيمان ودرجته مثل (المحسنون والمسلمون). (الصالح والطارق، ١٩٩٦: ٢٣٤).

٦. النفس: (مرضها وسواءها): يتضح مما سبق، من خلال الصراعات الدائرة، بين المستقبلات الشيطانية، والمستقبلات الرحمانية، وفي جميع وظائف وعوامل النفس البشرية، ثلاثة أنواع من الصراعات (شيطانية، رحمانية، نفسية) يتبعها ثلاثة أنواع من القلق يحملان السمات نفسها، مما يتسبب بوجود ثلاث حالات للنفس من (المرض - والسواء). فالصراع الشيطاني الذي يتخذ من النفس الأمارة بالسوء مقراً له يولد قلقاً شيطانياً: (وهو الخوف من عدم إشباع ملذات النفس)، والخلاصة نفس تحمل الاستعداد للمرض النفسي، وهي (النفس المريضة). أما الصراع الرحماني: (الذي يتخذ من النفس المطمئنة، واللوامة مقراً له، يولد قلقاً رحمانياً (وهو الخوف من

(١) النساء: ١٤٥.

عدم إرضاء الله – سبحانه، وتعالى، وإرضاء الضمير) ويولد نفساً سوية، كلما تخطأ تستغفر، وتعمل صالحاً لتشعر بالأمان، والاستقرار. أما الصراع النفسي الذي يظهر نتيجة لتداخل، وتصارع كل المستقبلات الرحمانية، والشيطانية في كل وظائف النفس بحيث يصبح الشخص عاجزاً من السيطرة على نفسه ومن ثم اختلال واضطراب كل وظائف النفس، وعندها يولد قلقاً نفسياً، مما يتسبب في اضطراب نفسي عام يتخذ واحداً من أشكال الاضطرابات النفسية المصنفة دولياً. والقلق النفسي هنا ما هو إلا نتيجة لتطور القلق الشيطاني. أما القلق الرحماني فهو قلق طبيعي بمثابة الحافز الذي يجعل الإنسان على اتصال دائم مع خالقه، وتنفيذ أوامره، والعمل بكتابه، ويكون بمثابة الدافعية ليكون الإنسان فاعلاً إيجابياً لتحقيق الأهداف التي أوكلها الله (سبحانه وتعالى) له، والنفس المريضة الناتجة عن القلق الشيطاني ما هي إلا استعداد للإصابة بالمرض النفسي، وليست مريضة نفسياً، أما النفس الناتجة عن القلق النفسي فهي مصابة بالمرض النفسي المصنف دولياً، لأن المرض النفسي لا يحدث إلا بتفاعل شرطين أساسين هما (الاستعداد للمرض النفسي): أي سمات شخصية تتصف بالمرض النفسي قبل حدوث المرض و (العوامل المرسبة)، وهي آخر ضغط نفسي (شدة نفسه، أو صدمة، أو تجربة مؤملة) تتفاعل مع الاستعداد المرضي فتسبب المرض (العبيدي، ١٩٩١: ٣٧)، كذلك يصنف الباحث حالات النفس من حيث (مرضها وسواءها) إلى ثلاث:

أ. النفس المريضة.

ب. نفس مصابة بالمرض النفسي.

ج. نفس سليمة تتمتع بالصحة النفسية.

أ. النفس المريضة:

يميل أغلب علماء المسلمين، تقسيم أنواع النفوس المريضة على ١- مرض شبهة وشك ٢- مرض شهوة، وغي. (القحطاني، ١٩٩٨: ٧٧)، وأمراض الشبهة، والشك تؤدي إلى اختلال العقيدة الإيمانية، قال تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[1]، وأمراض الشهوة، والغي تحوّل الإنسان من فطرته الخيرية إلى البهيمية التي لا تعرف كيف تضبط غرائزها، ولا

(١) البقرة: ١٠.

تعرف كيف تشبع تلك الغرائز. (صالح والطارق، ١٩٩٦: ٢٥٦).

وهذه الأمراض معنوية تصيب القلوب، وتظهر آثارها على الجوارح، وتسبب للإنسان خسارة أخروية، وإحباطاً للثواب، وجلباً للعقاب إذا لم تعالج. ويرد في القرآن الكريم ذماً لأصحابها، واستنكار أخلاقهم، والقرآن الكريم يصف هذه النفس بالمريضة، والوصف القرآني لهذه النفس له وصف في علم النفس الإكلينيكي يسميها (الشخصية العصابية) أي أن لكل مرض نفسي، شخصية مريضة تسبق الإصابة بهذا المرض ولذلك فإن العصابية تختلف عن العصاب، فالعصابية هي الاستعداد للإصابة بالمرض النفسي، أما العصاب هو المرض النفسي، والعصابية تقابل هذا النوع من الأمراض المعنوية، ومن سمات هذه النفس ذات المرض المعنوي (الرياء، الكبر، العجب، الغضب، الحسد، سوء الظن، البخل، حب الدنيا، الشهوة، الغرور) (الطائي، ٢٠٠١: ١١٤).

ب. النفس المصابة بالمرض النفسي:

ليس الهدف أن نضع تصنيفاً للأمراض النفسية، فهي مصنفّة دولياً وفقاً لطبعات معروفة للمتخصصين (ICD) و (DSM)، وتصنيفات أخرى، لكن نوضح تصور المنظور النفسي في الإسلام بخصوص المرض النفسي من خلال الآتي:

١. إن النفس المريضة التي جاء وصفها في الفقرة (أ) التي تستلم رسائل سفلية من قرين النفس الأمارة بالسوء، هي المعرّضة للإصابة بالمرض النفسي إذا ما تعرضت لضغط، أو صدمة نفسية بدرجة من الشدة بحيث لو تفاعلت هذه الشدة مع سمات هذه النفس المريضة فإن المرض النفسي يحدث عندها، ونوع هذا المرض يعتمد نوع السمات الشيطانية لهذه النفس المريضة. والحقيقة أنّ هذا ما يفسر عجز جميع، وسائل العلاج الدوائي، والنفسي في الحد من تزايد نسبة الأمراض النفسية في المجتمعات الغربية والأمريكية؛ لأن هذه النفس خاوية بسبب ضعف الإيمان؛ لأنها قلقة من أن تفقد ملذات الحياة التي لا تنتهي بسبب، وسوسة وتزيين الشيطان لها.

٢. إن النفس السليمة المطمئنة ذات المستقبلات الرحمانية التي تستلم، رسائل علوية من الله سبحانه وتعالى، وهو سندها في (السراء – والضراء) لا تصاب بالمرض النفسي، حتى وإن تعرضت لضغط، أو عامل مرسب، أو صدمة نفسية مهما بلغت شدة هذه الصدمة؛ لأنها تعدّها

جزءاً من الابتلاء في هذه الحياة، أنّها قد تضعف وتضطرب وظائفها النفسية أحياناً، ولكن سرعان ما تعود إلى حالتها الطبيعية، و (طول أو قصر) مدة العودة إلى الحياة الطبيعية يعتمد درجة الإيمان، ومواصلة الإنسان الصلة مع خالقه، ودرجة شدة الصدمة.

- **أسباب أمراض النفس:**

أ. الذنوب: هو مخالفة القوانين الإلهية، واتباع النفس الأمارة بالسوء، وهي لا تصدر إلا من قلب ضعيف الإيمان، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾(١).

ب. الضلال: أتباع الهوى، قال تعالى ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾(٢)، ومن الضلال أيضا اتباع الشيطان، مما يؤدي إلى انحراف السلوك، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾(٣) وقال تعالى ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾(٤)، ومن الضلال ارتكاب ما حرم الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ: ((إتقِ المحارم تكن أعبدُ الناس)) (النيسابوري، ٢٠٠٠: ٢٩٧)، ومن الظلال (الغفلة)، قال تعالى ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾(٥).

ج. ضعف الضمير: أي ضعف الواعز الداخلي الذي يحكم السلوك نتيجة البعد عن حدود الله وتعديها.

د. الصراعات الشيطانية والنفسية السابقة الذكر.

هـ. أسباب أخرى: مثل السمات المرضية للنفس (السابقة الذكر) والسلوك الناشئ عنها (صالح والطارق، ١٩٩٦: ٢٥٤).

جـ. نفس سليمة تتمتع بالصحة النفسية:

---

(١) الأنعام: ١٢٠.

(٢) القصص: ٥٠.

(٣) فاطر: ٦.

(٤) طه: ١٢٤.

(٥) الأنبياء: ١.

وهي النفس الراضية المطمئنة السليمة السوية، التي لا تنقطع مستقبلاتها الرحمانية من الله (سبحانه، وتعالى)، وإن حصل في داخلها صراع، فهو رحماني، خوف من عدم إرضاء الله سبحانه، وتعالى وإرضاء الضمير، والخوف هنا من الله فقط، والشعور بالأمان من نفسها والآخرين، ومن سمات هذه النفس (الخوف من الله العزيز القدير، والرجاء من الله في قبول التوبة، والرجاء في الحصول على محبة الله، والرضا عن الله وعن النفس، وقد عرّف (ابن عجيبة) الرضا في هذه النفس بقوله: (الرضا هو تلقي المهالك بوجه ضاحك أو سرور يجده القلب عند حصول القضاء، أو ترك الاختيار على الله فيما دبّر وأمضى)، والزهد: وهو تفريغ القلب من حب الدنيا، وشهواتها، وامتلاؤه بحب الله، ومعرفته. (الطائي، ٢٠٠١: ٥٧)، وكذلك الشكر بالقول، والفعل، وكذلك الصبر، والصدق، ، ومحاسبة النفس حسب شرع الله، ومراقبة النفس التي تعني إنَّ العبد يتذكر الله (سبحانه وتعالى) دوماً. وكذلك سمة التوكل على الله والتوبة إليه. (الطائي، ٢٠٠١: ٤٨-٥٠).

- **شروط الصحة النفسية وفقاً للمنظور النفسي في الإسلام:**

١. الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، والقضاء، والقدر، واتباع العقائد والعبادات الإسلامية.

٢. سلامة القلب من أمراض الشبهة والشك، وأمراض الشهوة والغي.

٣. عدم الخضوع لمطالب النفس الأمارة بالسوء، أو لمطالب النفس اللوامة المغالية في اللوم.

٤. سلامة الجسد من الأمراض، أو قبول المرض كابتلاء، وعدم التأثر به نفسياً.

٥. المداومة على ذكر الله بتناول القرآن الكريم تلاوة، أو سماعاً.

٦. سلامة النفس من الهم، والحزن، والعجز، والكسل، والجبن، والبخل. تيمناً بحديث الرسول ﷺ القائل لرجلٍ شكى لرسول الله همومه وديونه: ((أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك، وقضى عنك دينك؟ قال: بلى يا رسول الله: فقال الرسول ﷺ «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت قل: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك الجبن، والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال». (البيهقي، ١٩٥٢: ١٧٧).

٧. التمتع بعلاقات اجتماعية سليمة وتحمل المسؤولية الاجتماعية واحترام آراء الجماعة بما

ينسجم، والمنهج الإسلامي (صالح و الطارق، ١٩٩٦: ٢٥٧-٢٥٨).

- **المنهج التربوي المعتمد في المنظور الاسلامي: ويعتمد هذا المنهج على أسلوبين في التربية هما:**

١. الأسلوب الأول: تقوية الجانب الروحي في الإنسان عن طريق:

أ. الإيمان بالله سبحانه وتعالى والإيمان بكل ما أمرنا الله به.

ب. التقوى: وهو أنّ يقي الإنسان نفسه من غضب الله، وعذابه، وهي وسيلة لتفريج الكروب، وحل المشاكل (عدس، ب- ت: ٤٧)، وهي الدافع الرحماني الأساسي في النفس الذي يسيطر على سلوك الإنسان، ويوجهه بما يرضي الله.

جـ. العبادات: إنّ القيام بالعبادات (من صلاة وصوم وزكاة وحج .. الخ) إنما تعمل على تربية النفس، وتزكيتها.

٢. الأسلوب الثاني: السيطرة على الجانب البدني في الإنسان، من خلال:

أ. السيطرة على الدوافع: وإشباعها بما يرضي الله، وحسب الشرع.

ب. السيطرة على الانفعالات والتحكم فيها (نجاتي، ٢٠٠٢: ٤).

* * *

المصادر

* القران الكريم.

١. أبو العينين، المهدي بن عبود(٢٠٠٢): نقط حول مفهوم الإنسان وطاقته الروحية في الطب، انترنيت، (علاج نفسي ديني: www.file: //C: My ٪ 20 Document .

٢. أبو العينين، علي خليل مصطفى. (١٩٨٦): الفكر التربوي الإسلامي، رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد السابع عشر السنة السادسة، الرياض.

٣. أبو ريان، محمد علي . (١٩٧٦): تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة

٤. أسود، عبد الرزاق. (١٩٨١): المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، بيروت.

٥. البوقلي، جمال الدين((١٩٩٠: قضايا فلسفية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة٤، الجزائر.

٦. راجح، احمد عزة (١٩٨٥): أصول علم النفس، دار المعارف، الاسكندرية.

٧. البيهقي. (١٩٥٢): السنن الكبرى، مطبعة دار الفكر، بيروت.

٨. الحبّال، محمد جميل. (٢٠٠١): القرآن الكريم معجزة علمية. مجلة التربية الإسلامية، العدد الخامس، جمعية التربية الإسلامية، بغداد.

٩. الخولي، البهي. (١٩٧٤): آدم عليه السلام فلسفة تقويم الإنسان وخلافته، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٠. السامرائي، عبد الله سلوم. (١٩٨٥): الإسلام والقومية الإسلام والأممية، ط١، دار الحرية للطباعة، بغداد.

١١. الشرقاوي، حسن (١٩٨٣): الطب النفسي النبوي، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، مصر.

١٢. العبيدي، محمد إبراهيم. (١٩٩١): قياس الاتزان الانفعالي عند أبناء الشهداء وأقرانهم الذين يعيشون مع والديهم. (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية التربية – ابن رشد – جامعة

بغداد.

١٣. الطائي، رائد سالم شريف. (٢٠٠١): أمراض النفس وعلاجها عند السادة الصوفية. (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد.

١٤. الطيبي، عكاشة عبد المنان. (١٩٩٤): الاستشفاء بالقرآن والدعاء، ط٢، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة «دار الجيل، بيروت».

١٥. العيسوي، عبد الرحمن. (١٩٧٩): الإسلام والعلاج النفسي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر.

١٦. الغزالي، محمد بن محمد (١٩٩٠): معارج القدس، مطبعة الميناء، بغداد.

١٧. القبانجي، علاء الدين. (٢٠٠٢): العلاج النفسي في القرآن، معالم علم النفس في القرآن. سللسلة مقالات- الإنترنت، (علاج نفسي ديني - www.file: //C: My ٪ 20 Doc ment).

١٨. القحطاني، سعيد علي بن وهف (١٩٩٨): الدعاء ويليه العلاج بالرقي من الكتاب والسنة، ط١١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

١٩. القرضاوي، يوسف. (١٩٧٨): الإيمان والحياة، ط٦، مكتبة وهبة، بيروت.

٢٠. القيرواني، محمد قاسم (٢٠٠٩): السلوك التنظيمي، ط٥، دار وائل للنشر، عمان.

٢١. الفهداوي، علي داود (٢٠١٦): اساليب التفكير وفق نظرية غريغورك وعلاقتها بنمطي الشخصية A،B لدى طلبة المرحلة الاعدادية،(رسالة ماجستير غير منشورة)كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة الانبار

٢٢. الكبيسي، عبد الحافظ. (١٩٨٧): منهجنا التربوي. (دراسة موضوعية في رحاب التربية الإسلامية)، ط١، مطبعة الحوادث، بغداد.

٢٣. الكبيسي، عبد الكريم عبيد. (١٩٩٦): قياس الالتزام الديني وعلاقته بأساليب الحياة. (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد.

٢٤. المهدي، محمد عبد الفتاح. (١٩٩٠): العلاج النفسي في ضوء الإسلام، دار الوفاء للطباعة.

٢٥. النبهاني، تقي الدين(٢٠٠٣): الشخصية الاسلامية، ط٦، دار الامة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٢٦. النووي، محي الدين بن أبي زكريا (١٩٧٠): رياض الصالحين. تحقيق: عبد الله أحمد أبو زينة، دار القلم، بيروت.

٢٧. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري. (٢٠٠٠): صحيح مسلم. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨. الوتاري، أيمن توفيق (١٩٩٦): الإرشاد النفسي للمجتمع وفق المنظور القرآني. مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (٤)، بغداد.

٢٩. اليوزبكي، توفيق سلطان. (١٩٨٣): الأصول التاريخية للفكر العربي الإسلامي. (مجلة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة)، العدد (١) السنة (١)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

٣٠. أورانج كاي، رحمات بن داتو. (١٩٨٣): التفكير الديني في العالم، ترجمة رؤوف شبلي، دار الثقافة، الدوحة.

٣١. بن عبد الله، محمد بن ياسين. (١٩٨٧): الفيض الربّاني، منشورات مكتبة بسام، الموصل.

٣٢. بيومي، محمد أحمد. (١٩٨١): علم الاجتماع الديني، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر.

٣٣. جعفر، نوري. (١٩٧٥): التربية وفلسفتها، ط١، مطبعة الحرية، بغداد.

٣٤. خوري، وتوماجمورج (٢٠١٠): نظرة في أعماق الشخصية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣٥. زيعور، علي(١٩٨٦): أحاديث نفسانيه اجتماعيه مبسطه في التحليل النفسي والصحة النفسية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

٣٦. صالح، قاسم، حسين(١٩٨٨): الشخصية بين التنظير والقياس، كلية الآداب، جامعة بغداد.

٣٧. صالح، قاسم حسين، والطارق، علي. (١٩٩٨): الاضطرابات النفسية والعقلية

٣٨. طافش، اسعد احمـد(٢٠٠٦): دراسة السمات الشخصية المميزة للأطفال المصابين بمرض الثلاسيميا وعلاقتها ببعض المتغيرات، رسالة جامعيه غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزه، فلسطين.

٣٩. عبد الله، عبد الرحمن صالح والأقطش، يحيى سالم. (١٩٩٤): مقياس اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية نحو العقيدة الإسلامية، مجلة دراسات، مجلد (٢١) أ، العدد (٤).

٤٠. عبود، عبد الغني، (١٩٧٨): الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤١. عدس، محمد عبد الرحيم. (ب-ت): من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، مطبعة المنار، الزرقاء، الأردن.

٤٢. عيسى، محمد طلعت وآخرين. (ب-ت): الرعاية الاجتماعية للأحداث المنحرفين، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.

٤٣. فهمي، مصطفى(١٩٩٧): الصحة النفسية،ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٤. قطب، محمد (١٩٨٥): منهج التربية الإسلامية، ج١، دار الشروق، القاهرة.

٤٥. قطب، محمد (١٩٦٢): في النفس والمجتمع، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة.

٤٦. لازارس، ريتشارد(١٩٨٩): الشخصية، ترجمة: محمد غنيم ومحمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت.

٤٧. محمود، عصام نجيب(٢٠٠١): ديناميات السلوك الانساني واستراتيجيات ضبطه وتعديله، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان.

٤٨. موسى، رشاد علي عبد العزيز(١٩٩٣): أثر التدّين على الاكتئاب النفسي، (دراسات في علم النفس المرضي)، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مدينة النصر، القاهرة.

٤٩. نجاتي، محمد عثمان. (١٩٨٧): القرآن وعلم النفس، ط٣، دار الشروق، القاهرة.

٥٠. نجاتي، محمد عثمان (٢٠٠٢): مفهوم الصحة النفسية في القرآن الكريم والحديث الشريف، انترنيت، (العلاج النفسي الديني wwww.file: //C: My ٪ 20 Document).

51. Ather، shahid .(2002): Modren stress and its cure from Quran.

(www.file: //c: winDows\TEMP\islam-usa-com.html.
52. Davids،Anthany&EngenTrgg(1975)introduction psychology.
first ed . Random House،inc USA.
53.Eyzenck،H.J.(1985).model for personality. New York.

❊ ❊ ❊